الدار العالمية للكتاب الاسلامي
و
المعهد العالمي للفكر الإسلامي
١٤٠١هـ - ١٩٨١م

سلسلة الرسائل الجامعية (١٢)
(قضايا الفكر الاسلامي)

الأمثال في القرآن الكريم

د. محمد جابر الفياض

د. محمد جابر الفياض

* ولد في مدينة الفلوجة في العراق سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م
* تلقى دراسته الابتدائية والإعدادية في الفلوجة، وحصل على الثانوية من ثانوية الأعظمية للبنين ثم التحق بكلية دار المعلمين العالية وتخرج فيها سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.
* عيّن مدرسًا للبلاغة العربية في «الإعدادية المركزية» ببغداد.
* حصل على الماجستير من كلية الآداب - جامعة عين شمس ببحثه الذي نقدمه للقراء في هذا الكتاب عن: **«الأمثال في القرآن»** سنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
* عاد إلى بغداد لمواصلة التدريس حيث كان في مدرسته السابقة.
* انتسب إلى كلية الآداب جامعة عين شمس للحصول على الدكتوراه وأعد رسالة قيمة تكمل ما بدأه في مرحلة الماجستير وهي **«الأمثال في الحديث الشريف»**، سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م التي يأمل المعهد أن يقدمها عما قريب.
* له عدد من البحوث والدراسات الهامة منها:

- التورية وخلو القرآن منها.
- المجاز في القرآن.
- الكناية .
- نظرية النظم.
- المعاجم العربية وطرق الاستفادة منها.
- العقد أو نظم الفكر وأثر الحديث الشريف فيه.
- مفهوم الفصاحة لغة واصطلاحًا.
- مفهوم البلاغة لغة واصطلاحًا.

وكان يعمل على إعداد بعض الدراسات القرآنية الهامة فعاجلته المنية في فجر الثلاثاء ٤ رجب سنة ١٤٠٧هـ الموافق ١٩٨٧/٣/٥م.

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين

وقل رب زدني علماً

بسم الله الرحمن الرحيم

لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ
خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ
وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ
لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ

(الحشر: ٢١)

الأمثال
في القرآن الكريم

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م
الطبعة الثانية
١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م

الكتب والدراسات التي يصدرها المعهد
تعبّر عن آراء مؤلّفيها واجتهاداتهم

نشر وتوزيع:
الدار العالمية للكتاب الإسلامي
نشر وتوزيع الكتاب والشريط الإسلامي بسبعين لغة
الإدارة العامة. ص.ب. ٥٥١٩٥ ـ الرياض ١١٥٣٤
هاتف ٤٦٥٠٨١٨ ـ ٤٦٤٧٢١٣ ـ فاكس ٤٦٣٣٤٨٩
المكتبات: الرياض ٤٦٢٩٣٤٧ ـ ١ / جدة ٦٨٧٣٧٥٢ ـ ٢ / الخبر ٨٩٤٥٨٢١ ـ ٣

INTERNATIONAL ISLAMIC PUBLISHING HOUSE
I. I. P. H.
Publisher and Distributer of Islamic Books and Tapes in 70 Languages
HEAD OFFICE: P.O.Box 55195 - Riyadh 11534 - Saudi Arabia
Tel: (966-1) 4650818-4647213 - Fax: 4633489
BOOK SHOPS: Riyadh1-4629347/Jeddah2-6873752/Khobar3-8945821

الأمثال في القرآن الكريم

د. محمد جابر الفياض

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م

سلسلة الرسائل الجامعية (١٢)
(قضايا الفكر الإسلامي)

© جميع الحقوق محفوظة
المعهد العالمي للفكر الإسلامي
هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية

© 1414/1993 by
The International Institute of Islamic Thought
555 Grove St. Herndon, VA. 22070-4705 U.S.A.

Library of Congress Cataloging-in-Publication Data

Fayyāḍ, Muḥammad Jābir / 1932-1987 (1351-1407).
al Amthāl fī al Qur'ān al karīm/Muḥammad Jābir al Fayyāḍ.
p. 456 cm. 22½ × 15— *(Silsilat al rasā'il al jāmi'īyah (12)*
Originally published: Baghdād: Dār al Shu'ūn al Thaqāfīyah al 'Āmmah, 1988.
Includes bibliographical references and index.
ISBN 1-56564-009-8—ISBN 1-56564-003-9 (pbk.)
1. Koran as literature. 2. Koran—Criticism, interpretation, etc.
3. Proverbs, Arabic.
I. Title. II. Series: *Silsilat al rasā'il al jāmi'iyah* (Herndon, VA.)
BP1318.F39 1992 < Orien Arab > 91-38442
CIP

فهرس الكتاب

تصدير ٩

المقدمة ١٧

الباب الأول

المثل وعلاقته بغيره

الفصل الأول: المثل وما يتعلق به ٢٥

أولاً: معنى المثل ٢٧

ثانيًا: ضرب المثل ٦٧

ثالثًا: حكاية المثل ٧٦

رابعًا: الغرابة في الأمثال ٨٣

خامسًا: أهمية الأمثال ٨٦

سادسًا: أنواع الأمثال ٩٣

الفصل الثاني: علاقة المثل بالحكمة والتشبيه والقصة ١٠١

أولاً: علاقة المثل بالحكمة ١٠٣

ثانيًا: علاقة المثل بالتشبيه والتمثيل ١١٥

ثالثًا: علاقة المثل بالقصة ١٢٧

الباب الثاني

الأمثال في القرآن الكريم

الفصل الأول: تعريف بالأمثال القرآنية ١٣٩

أولاً: المَثَل والمِثْل في الاستعمال القرآني وما ذهب إليه العلماء فيهما: ١٤١

ثانيًا: ترتيب الآيات الكريمة التي لها علاقة بالأمثال ١٥٢

١ ــ الآيات التي ورد فيها لفظ المثل ١٥٢

٢ ــ الآيات التي أشارت إلى أمثال الله من غير أن تدخل
في بنية المثل وتركيبته ١٦١
٣ ــ الأمثال الظاهرة مكيها ومدنيها، وفقًا لترتيب سورها في القرآن ١٦٣
٤ ــ ترتيب الأمثال القرآنية بحسب تسلسل نزولها ١٧٢
٥ ــ الأمثال المكية الظاهرة بحسب تسلسل نزولها ١٧٥
٦ ــ الأمثال المدنية الظاهرة بحسب تسلسل نزولها ١٨٠
٧ ــ طائفة من الأمثال التي لا ذكر للفظ المثل فيها
بحسب ترتيب سورها في القرآن ١٨٤
٨ ــ الآيات القرآنية التي أشارت إلى ضرب الناس للأمثال
بحسب ترتيبها في القرآن الكريم ١٩٠
٩ ــ بعض ما عده القرآن أمثالاً من أقوال المشركين ١٩١
ثالثًا: عدد الأمثال القرآنية ١٩٣
رابعًا: أنواع الأمثال القرآنية ٢٠١
خامسًا: الموضوعات التي عالجتها الأمثال القرآنية ٢٤٠
سادسًا: أهمية الأمثال القرآنية ٢٥٩
الفصل الثاني: عرض وتحليل طائفة من أمثال القرآن ٢٦٧
أولاً: تمثيل الجنة ٢٦٩
ثانيًا: تمثيل الحياة الدنيا ٢٧٩
ثالثًا: تمثيل المنفقين ونفقاتهم ٣١٦
**الفصل الثالث : مقارنة أمثال القرآن بالعهدين (القديم والجديد)
وأمثال الجاهلية** ٣٦٣
خاتمة البحث وخلاصته ٤٣٧
المصادر والمراجع ٤٤١

تصديـــر

الحمد لله نستغفره ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. واشهد أن لا إله إلاّ الله ـــ وحده ـــ لا شريك له. وأشهد أن سيدنا محمد عبدالله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته ومن تبعه واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد فإن الأمثال وعاء حكمة الأمم وخزائن تجاربها ووسيلة من أهم وسائل حفظ تلك التجارب والحكم وتناقلها بين الأجيال. وهي قبل ذلك وبعده من أدق أساليب التعبير وأوجزها وأبلغها تأثيراً في النفوس. وحين تقصر أساليب التعبير الأخرى عن استيعاب مراد المتكلّم ، أو يضيق إدراك المخاطب عن فهم المراد منه فإن ضرب المثل يجعل ذلك كلّه سهلاً ميسّرًا «مع إيجاز اللفظ وإصابة المعنى، وحسن التشبيه[1]» ولذلك اعتبرت العرب الأمثال جزءًا من أهم أجزاء ديوانها تعود إليها تستنطقها لتستفيد منها تاريخ أحداث ووقائع وسيرٍ وأشخاص وغير ذلك من مكنون الحكم وصميم الفوائد التي اشتملت الأمثال عليها.

ولقد تناول الأمثال وكتب فيها الجهابذة من الأدباء والحكماء والبلاغيين واللغويين والمفسرين من شتى المدارس وفي مختلف العصور فكتب فيها الأصمعي وأبو زيد وأبو عبيدة والنضر بن شُميل والمفضّل الضبيّ وابن الأعرابي وأبو القاسم عبيد ابن سلام من المتقدمين، وعدد لا يحصى من الذين جاؤا بعدهم ولا تزال الأمثال موضع اهتمام الكثير من أهل العلم والأدب حتى يومنا هذا.

أمّا أمثال القرآن العظيم فهي مظهر من أهم مظاهر بلاغته وإعجازه ودقة تصويره الفني، وسحر أسلوبه فهي قد سحرت العرب مؤمنهم وكافرهم، وبانت

---

(١) الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام تحقيق د. عبد المجيد قطاش ص٣٤، طبعة أولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، دار المأمون/ دمشق.

حلاوتها، وظهرت طلاوتها لعامتهم وخاصتهم، وبان تأثيرها فيهم أجمعين.

والأمثال القرآنية تمثل علمًا من علوم القرآن الهامّة[٢] وبحثًا لم يغفله أحد من المفسّرين أو البلاغيِّين أو الكاتبين في علوم القرآن، ولكنّهم قل أن يتناولوها بشكل شمولي يبرز صور الإعجاز الجمالي الفني فيها، مع إصابة المعنى الموضوعي بأتم شكل وأكمل وجه.

وفي حدود ما بلغته معرفتي المحدودة لم أعرف من تكلم بتفصيل في أمثال القرآن باعتبارها وسيلة من أهم الوسائل التربويّة فالأمثال القرآنية تشكل معلمًا بارزًا من معالم منهاج القرآن العظيم التربويّ فهي في بعض جوانبها تبرز النموذج الخيِّر وتوضح معالمه، وتبيِّن دقائق تكوينه حتى إنّه ليكاد يرى ماثلاً وشاخصًا أمام الناظرين فلا يملك الإنسان إلاّ أن يتمنى أن يكون مثل هذا النموذج الماثل أو قريبًا منه ويمتلئ قلبه ونفسه وعقله ومشاعره بعوامل الرغبة بالتأسي به والسير على منواله، ودوافع الأخذ بما به أخذ والسير على ما سار عليه.

وبعض أمثال القرآن تجسّد النموذج وتشخصّه حتى لنكاد ننظر إليه ماثلاً شخصًا وعملاً وسلوكًا واخلاقًا وتصرفات فتشهد أقبح إنسان وأسوأ عمل، واردأ سلوك يمكن أن يصدر عن إنسان وأسوأ مصير يمكن أن يصير إليه فلا تملك إلاّ أن تفر بنفسك وبدينك من مشابهته ومماثلته بأي شيء من الأشياء واقرأ إن شئت:

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ (التحريم: ١٠)

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (التحريم: ١١)

---

(٢) أنظر هذا العلم وما كتب عنه في مختلف كتب «علوم القرآن» القديمة والحديثة خاصة «الاتقان» للسيوطي و «البرهان» للزركشي، و «مناهل العرفان» للزرقاني وغيرها.

ففي هذين المثلين يضرب الله تعالى مثلاً للكفر والخيانة في بيتي نبوة، والإيمان والتقى والطهر في بيت كفر فشخصيّة المرأة مستقلة، وهي مكلّفة مسئولة لها ثواب ما تفعل، وعليها جزاء ما ترتكب، وأمام كل امرأة في الدنيا يضرب القرآن العظيم هذين النموذجين: مثل المرأة لا يستطيع الكفر كله أن يصدها عن الإيمان، ولا تحملها كنوز الفراعنة وقصورهم على الانتساب اليهم بل تتبرأ من فرعون وعمله، وتترفع وتتعالى على قصره ودنياه وقومه وتسأل الله تعالى أن ينعم عليها ببيت بديل في الجنة، وان ينجيها من القوم الظالمين أي زوجها وقومها: فهي مثل ونموذج وأسوة لشخصية المرأة التي تستعلي على الدنيا كلها، وتزهد في زوج هو أعظم ملوك عصره، وقصور هي أفخم ما عرفته الدنيا ــ آنذاك ــ من قصور، ولا يفل من عزمها، ولا يضعف من إرادتها انها امرأة وحيدة منفردة بين قوم ظالمين تعيش في قصر جبار كان يقتل الناس على مجرد شبهة الإيمان، ثم يعطف القرآن عليها مريم ابنة عمران فأيّة امرأة تقرأ هذا المثل ولا تتمنى ان تتأسى به شخصية وإرادة وإيمانًا وسلوكًا واستقامة ومصيرًا؟!

إلى جانب ذلك ضرب المثل المغاير المرأة المتحجرة القاسية الغليظة الطبع التي تعيش في بيت نبوة فلا تتأثر ولا تلين ولكنها تخون البيت والزوج النبيّ، وتناصر الظالمين من قومها ويجسّد المثل القرآنيّ هذه الصورة البشعة للكافرتين الخائنتين في بيتي النبييّن الرسولين الصالحين بجانب الصورة المشرقة لأمرأة فرعون ومريم وهل يملك احدٌ أن يرضى لنفسه مماثلة الخائنتين ومشاققة المؤمنتين؟!

ونحوه قوله تعالى:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ (الأعراف: ١٧٥ــ١٧٧)

إنّه مثل يضربه الله تعالى للإنحراف عن سواء الفطرة، ونقض العهد مع الله

تعالى والنكوص عن آياته بعد العلم بها وفهمها، ولكنّه مع علمه وفهمه ينسلخ عن آيات الله التي كانت تحيط به كثوبه، بل تلفُّه كجلده لكن نداء هواه وخلوده إلى الأرض والتصاقه بشهواتها ولذات طينها أقوى عنده وأولى بالاستجابة لديه من نداء آيات الله فينسلخ عن الآيات ويلتصق بالتراب خالدًا إليه. والمثل يضربه الله تعالى لأي إنسان يتجاوز ما علمه الله تعالى فلا يسمو ولا يرتفع بالعلم، بل يخلد إلى الأرض. والذي يتلو هذه الآيات وهي تصور هذا المثل في مشهد حيّ متحرّك، عنيف الحركة شاخص السمات، بارز الملامح، واضح الانفعالات يحمل كل إيقاعات الحياة الواقعة إلى جانب إيحاء العبارات الموحيّة[٣] لا يمكن أن يرضى لنفسه مشابهة هذا المخلوق التعيس بأي حال من الأحوال.

وهكذا كل أمثال القرآن العظيم الأخرى

﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ﴾ (هود: ٢٤)

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ ﴾ (ابراهيم: ١٨)

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ ﴾ (ابراهيم:٢٦)

وتستمر آيات الأمثال تصور النفوس والقلوب والأشخاص والأعمال والأقوال والمشاهد والأمم والحضارات وتضرب منها ولها الأمثال فلا تغادر جانباً منها إلاّ اعطته من التوضيح والتشخيص ما يجعله وسيلة من أهم الوسائل التربوية ففيها إخراج مالا يقع عليه الحس إلى مستوى المحسوس، وإخراج مالا يعلم ببديهة العقل إلى ما يعلم بالبديهة، وإخراج مالم تجربه العادة إلى الأمر المعتاد وإخراج مالا تأثير له من الصفات إلى ماله كامل التأثير[٤] كما انها من أفضل وسائل البيان والتعليم.

فإذا علمنا أن القرآن العظيم قد ضرب للناس من كل مثل

---

(٣) يراجع البرهان (١/٤٨٦ــ٨٧)

(٤) على ما في البرهان (١/٤٨٦) وزاد: «ففيها جماع ضروب المعرفة».

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ (الروم: ٥٨)

نستطيع أن ندرك أن أمثال القرآن العظيم يمكن أن تزودنا بمنهاج تربوي كامل لا يغادر جانبًا من جوانب العملية التربوية إلاّ تناوله وفصّله وأوضح نماذجه بأفضل ما يكون الإيضاح. وهذا الجانب من الجوانب التي تتصل «بأمثال القرآن» وحده يحتاج إلى دراسة أو أكثر توضح جوانبه وتساعد التربويين على بناء ما يريدون من أفكار ونماذج في مختلف جوانب العملية التربوية.

وجانب آخر من جوانب «أمثال القرآن» كنت اتطلع إلى أن أجد فيه دراسة جادة و لم أطلع على ما يشفي الغليل فيه الى الآن هو الأمثال القرآنية بوصفها مصدرًا من أهم مصادر الأحكام، وهذا يمكن أن يتضح في جانبين: الجانب الأول: أن امثال القرآن يصحبها ــ دائماً ــ تحسين أو تقبيح فما حسنته فهو حسن، وهذا الحسن يمكن ان يعتبره الأصوليُّ قدرًا مشتركًا بين الوجوب والندب والإباحة واجتهاده فيه سوف يساعده على تحديد الحكم المناسب ان لم يكن هناك دليل سوى الآية المثل. وما قبحته الأمثال فهو قبيح، والقبح دائر هنا بين التحريم والكراهة والمجتهد يبذل جهده لتحديد أي منهما الأنسب إن لم يكن له دليل غير ذلك المثل الآية. دون حاجة إلى النظر في صيغ الأوامر والنواهي الصريحة. ولذلك عد الشافعي ــ رحمه الله ــ معرفتها من شروط الاجتهاد ومما يجب على المجتهد معرفته على ما نقل الزركشي في البرهان عن البيهقي. (البرهان ١/٤٨٦).

وأما الجانب الثاني فيتضح حين ندرك أن أمثال القرآن ودعوة القرآن العظيم إلى الاعتبار بها هي التي قدحت في أذهان الأئمة من قراء الصحابة وفقهائهم ومن جاء بعدهم بفكرة «القياس الأصولي» واعتباره دليلاً من أدلة الأحكام الشرعيّة ــ هذا الدليل الذي نجمت عن الأخذ به تلك الثروة الفقهية الهائلة التي نفخر بكثير من جوانبها. وفكرة اكتشاف «القياس الأصولي» والثورة الفقهية والفكريّة التي نجمت عنه وعلاقة ذلك بأمثال القرآن العظيم موضوع آخر يستحق دراسة أو دراسات عديدة ليتضح ويظهر أثر أمثال القرآن العظيم الفكري والفقهي.

وحين نعلم أن اكتشاف «القياس الأصولي» كان الدعامة العلميّة الأولى التي

قام عليها بناء «المنهج العلمي التجريبي» بعد ذلك فإن الأهميّة الكبرى التي تحتلها «أمثال القرآن العظيم» تبدو ــ آنذاك ــ بجلاء شديد.

لكن من المؤسف أن نجد إسرافاً بلغ حدَّ التبديد والتبذير في جانب البحث اللغوي والبلاغي والبياني والنحوي في الأمثال القرآنية وقلة وشحًا في الجوانب الأخرى التي أشرنا إليها، ولعل في هذه الإشارات ما ينبه إن شاء الله لإعطاء هذه الجوانب الأخرى ما تستحقه وعلماء الاجتماعيات والانسانيات هم المطالبون بتجلية هذه الجوانب وتوضيح وخدمة كتاب الله وأغراضه في هذا المجال. فأمثال القرآن محور أساس. من المحاور الخمسة التي أشار اليها رسول الله ﷺ فيما أخرجه البيهقي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«إن القرآن نزل على خمسة أوجه: حلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال فاعملوا بالحلال، واجتنبوا الحرام، واتبعوا المحكم، وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا بالأمثال»**.

الرسالة والمؤلف

أما الرسالة التي نقدمها فهي أطروحة في الآداب العربية قسم البلاغة تقدم بها صاحبها لنيل درجة الماجستير في هذا الفرع من جامعة «عين شمس ــ كلية الآداب» بالقاهرة سنة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م وقد نوقشت وحصل صاحبها على الدرجة بامتياز.

ومن المعروف أن رسائل الماجستير تعتبر رسائل تكميلية، الهدف من تكليف الباحث بها استكمال متطلبات هذه الدرجة العلمية التي تعتمد أساساً على دراسة المواد المقررة والاختبار بها، وقد جرت العادة ــ في الغالب ــ أن يعمد الباحثون إلى بحوث صغيرة محددة لا تحتاج إلى جهد كبير ولا إلى وقت طويل يتجاوز العام الواحد، لكن صاحبنا مؤلف هذه الرسالة قد اختار هذا الموضوع «أمثال القرآن» بكل ما يمثل من عمق وأهميّة واتساع وتشعُّب. ونصح أكثر من مرة ــ وهو لا يزال على شاطىء البحث أن يتجاوزه ويختار سواه، لكن الموضوع كان قد سيطر على لبه، وامتلك عقله فقرّر الغوص فيه ومنذ أن تكفل بهذا البحث انصرف إليه بكليته وأعطاه كل وقته ووقت أهله معه ولم يصل إلى مشارفه إلاّ بعد ثلاث سنوات

ونصف من التفرغ الكامل والبحث الجاد المتواصل فجاء ــ بفضل الله ــ بحثًا شافيًا وافيًا ألّم بأهم جوانب هذا الموضوع اللغوية والبلاغية والتفسيرية.

ولقد تميزت دراسة الباحث بنوع من الاستقراء والاستيعاب . فلقد تتبع سائر الدراسات التي سبقت في هذا الموضوع لم يغادر منها شيئًا مما وصل لعلمه وبلغته يداه وقام بالإطلاع عليها وتقويم كل منها لمعرفة ما تناولته أو أهملته من جوانب الموضوع، وبين ما استفاده من كل منها ونسب الفضل إلى أهله، وحدد ما لم يشف الباحثون منه الغليل من موضوعاتها فدرسه وحقق مسائله واوضح ما يراه فيه. ولم يقف شغفه بالبحث وطموحه إلى الإتقان والإجادة عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى عقد مقارنة بين امثال القرآن العظيم وأمثال العهدين القديم والجديد:ــ التوراة والأنجيل، وهذا الباب ــ وحده ــ يصلح موضوع دراسة خاصة في مجال «الأديان المقارنة / المقارنة بين الكتب السماوية» وهي مقارنة طريفة يخرج القارىء منها بانطباع مباشر: أن التوراة والأنجيل خطاب خاص مؤقت في زمانه، محدّد في مكانه مشخص في المخاطبين به، وان القرآن العظيم مصدِّق لما بين يديه من أساسيات تلك الكتب والصحف كالتوحيد والنبوة والخلق ومهيمناً عليها. وأنّه ــ وحده ــ الخطاب العام الشامل الكامل المطلق عن الزمان والمكان والمخاطبين فهو للبشرية كلها وللناس كافة في سائر أزمنتهم وجميع أمكنتهم وكل شعوبهم وأممهم.

ومن هنا فقد جاءت هذه الدراسة دراسة جادة شاملة متنوعة الفوائد، وما ذكرته ليس إلاّ إشارات لبعض مزاياها التي لا تكتشف إلا بقراءتها كلّها والعيش مع هذا المحور من محاور القرآن ومعها لفترة تناسب حجمها ودقة موضوعاتها وتنوع مسائلها.

إن هذه الرسالة دراسة مستوفية للمحور الخامس من محاور القرآن العظيم ــ الأمثال. يمكن تصنيفها في إطار «التفسير الموضوعي» ويمكن أن تسلك في «التفسير البياني» ويمكن ان توضع في مستوى أفضل الدراسات البلاغيَّة المعاصرة. وأيًا كان تصنيفها فهي نموذج لما نطمح أن تكون عليه أطروحات ورسائل الباحثين المسلمين من قوة وجدية وموضوعية واستيعاب لتكون لبنات صالحة في بناء نسقنا الثقافي الإسلامي المنشود. والرسالة منذ نوقشت لم تطبع إلاّ طبعة محدودة جدًا صدرت

في العراق عام ١٩٨٨ لأغراض التبادل العلمي مع الجامعات. ولذلك فقد وقع اختيار المعهد على هذه الرسالة بعد مراجعتها وتقويمها لتكون جزءًا من ملف «الدراسات القرآنية» ضمن سلسلة «الرسائل الجامعية» ولتكون مصدرًا من المصادر الهامة في الدراسات القرآنية والبلاغيَّة واللغوية والأديان المقارنة.

أما المؤلف ــ فهو شقيقي الأستاذ الدكتور محمد جابر الفياض العلواني (رحمه الله) وقد ترك لنا غير هذا الكتاب رسالته للدكتوراه **«الأمثال في الحديث الشريف»** التي يعتزم المعهد إصدارها إن شاء الله في وقت قريب. كما ترك لنا جملة من الأبحاث المتميزة منها «التورية وخلو القرآن منها» و«الكناية» و «المعاجم العربية وطرق الاستفادة منها» و «العقد أو نظم النثر وأثر الحديث النبوي الشريف فيه» و «مفهوم الفصاحة لغة واصطلاحًا» و «مفهوم البلاغة لغة واصطلاحًا» وكلها مطبوع متداول.

هذه لمحات قد تنبِّه ذهن القارئ الى بعض مزايا ومضامين هذه الرسالة القيمة. أما الالمام بسائر مزاياها فإنه يتوقف على قراءتها كلّها، وتدبّر ماورد فيها فجزى الله كاتبها على جهده خيرًا وتغمده برحمته وأسكنه فسيح جناته.

اللهم يا منزل القرآن شفاءًا لما في الصدور وهدى ورحمة تغمد أبا جابر برحمتك، واجعل القرآن شفيعًا لنا وله ونورًا لنا وله واحشرنا جميعًا تحت لواء القرآن. واجعل ما كتبه أبو جابر، في خدمة كتابك وسنة نبيك، في ميزان حسناته. إنك ولي ذلك والقادر عليه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

طه جابر العلواني

رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي

هيرندن ــ فيرجينيا

ربيع الآخر ١٤١٤هـ

اكتوبر ١٩٩٣م

المقدمـــة

ما أكثر الذين تحدثوا عن أهمية الأمثال العربية، وأبرزوا ما لها من مكانة رفيعة، ومنزلة مرموقة، فَمِنْ متحدثٍ عن أغراضها وأهدافها، ومشيد بخصائصها وميزاتها، ما تعلق منها بالشكل ، أو المضمون، أو كليهما معًا. فَمِنْهم مَنْ ذَهَبَ إلى أنها: حكمة العرب في الجاهلية والإسلام. ومنهم مَنْ ذَهَبَ إلى أنها: قصارى فصاحة العرب العرباء، وجوامع كلمها، ونوادر حكمها، وزبدة بلاغتها. وانتهى بعضهم إلى أنها من أبلغ الحكمة، لاجتماع الناس عليها، وهم لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة، أو غير بالغ المدى في النفاسة. والواقع أن هؤلاء العلماء لم يبعدوا فيما ذهبوا إليه في أهميتها. فالأمثال في كل أمة خلاصة تجربتها، ومحصول خبرتها، والمرآة التي تنعكس على صفحاتها عادات الأمة، وأخلاقها وأفكارها، وسائر مظاهر حياتها، في كل شأن من شؤونها. ولهذا كانت دراسة الأمثال ـــ وما تزال ـــ من أجدى الدراسات الأدبية، وأكثرها نفعًا.

وإذا كانت الأمثال بهذه المثابة، فلا غرابة في أن تكون الأمثال القرآنية قد بلغت الغاية القصوى في الأهمية، لِما بلغته من براعة التصوير، ودقة التعبير، ولتناولها كل ما من شأنه أن ينير للإنسان طريقه في الحياة، ويبدد من أمامه ظلمات الجهل والضلال. فالأمثال القرآنية وسائل إيضاح لِما في القرآن الكريم من أفكار. وما أشمل وأسمى ما جاء به القرآن منها. ومن هنا كانت الأمثال القرآنية نورًا ميزت به الناس الغَيَّ من الرشاد، والهدى من الضلال، والخبيث من الطيب، فوقفوا بمعونته على حقائق الأشياء وطبائعها.

والأمثال القرآنية بعد هذا أحكام، وإن لم ترد على ما أُلِفَ أن تجيء عليه الأحكام من الأمر بالشيء، أو النهي عنه، بشكل مباشر، لأن التمثيل القرآني ـــ وإن كان تصويرًا للأشياء ـــ ليس تصويرًا وتشخيصًا لها لمجرد الرغبة في التصوير والتشخيص. وإنما أُريد به إحقاق الحق، وإزهاق الباطل، وإظهار الأشياء على ماهي عليه، وحكم لها أو عليها. فلم يبعد الشافعي رحمه الله حين ذهبَ إلى أن مما يجب

على المجتهد معرفته من علوم القرآن علم أمثاله، كما لم يعد الماوردي، عندما عَدَّها من أهم علوم القرآن[1].

وما لنا وهذا والقرآن الكريم أشاد بأمثاله، وما جاءت عليه من الدقة والبراعة والإحكام، في كثير من آياته. فقال تعالى:

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ (الرعد: ١٧)

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٣)

ولهذا فلا غرابة في أن يَتَوَلّاها العلماء، والدارسون — قديمًا وحديثًا — بالبحث والدراسة. ولعلَ أقدم ما وصلَ إلينا مما أُلِّف فيها كتاب (الأمثال من الكتاب والسُنة)[2] للحكيم الترمذي (محمد بن علي بن الحسين ت ٣١٨هـ) . وقد تضمن الكتاب مقدمة مهمة وافية، أبرز فيها الترمذي طبيعة المَثَل القرآني، وأهميته. غير أنه اكتفى بعد هذا بإيراد الأمثال، والإشارة إلى مَنْ ضُرِبَتْ لهم، والتعقيب عليها تعقيبًا شديد الإيجاز، ولم يكد يتجاوز السطر، أو السطرين في أكثر الأحيان، إن لم يدعها من غير ما شرح أو تعقيب.

ولقد تضمن الكتاب نحوًا من ثلاثين مثلاً، أكثرها مما ذكر لفظ المَثَل فيها صراحة. وعلى أية حال، فقد كان يقتصر انتفاعي منه على ما جاء في مقدمته.

ووصل إلينا كتاب (تشبيهات القرآن وأمثاله)[3] لابن قيم الجوزية (محمد بن أبي بكر بن أيوب ت ٧٥١هـ) وقد تضمن الكتاب خمسة وعشرين مثلاً، أربعة منها لا ذكر للفظ المَثَل فيها. وقد قدَّم ابن القيم لكتابه بمقدمة قصيرة، كادت تقتصر على ما نقله عن شيخه، من أن أمثال القرآن لا يعقلها إلاّ العالمون، لأنها تشبيه شيء بشيء في حكمه، وما أشبه هذا، كما تولى تفسير كل مثل من الأمثال التى أوردها

---

(١) انظر في هذا البحث أهمية الأمثال : ص ٧٨—٨٤، وأهمية الأمثال القرآنية ص٢٥٩—٢٦٦.
(٢) مخطوط بدار الكتب المصرية — رقم ٢١٨١٦ ب.
(٣) مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٦٩٨٧ ب ومنه نسخة أخرى باسم أمثال القرآن مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣١ مجاميع حليم. وقد أدخله ابن قيم في كتابه أعلام الموقعين عن ربِّ العالمين: ١/١٥٠ — ١٩٠.

بتفصيل. وأشار إلى بعض مما جاء متماثلاً منها. غير أنه مع كل هذا التفصيل، لم يزد على ما ذكره المفسرون مما يمكن أن يستوقف الباحث. وقد لا أبعد إذا قلت: إن تأثره بما ذَهَبَ إليه الفخر الرازي في تفسير هذه الأمثال أوضح مِنْ أنْ يخفى.

ووصلت إلينا رسالة صغيرة، بعنوان (في الأمثال السائرة في القرآن) لم يُعرف مؤلفها[4]. وقد تضمنت نحوًا من خمسة وثلاثين مثلاً من أمثال العرب، وما يماثلها ــ في معانيها ــ من ألفاظ القرآن الكريم. نقلها صاحب الرسالة عن الحسن بن الفضل قائلاً: (حدَّثنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم الرازي قال: حَدثَنا الشيخ أبو الفتح محمد بن اسماعيل الفرغاني قال: حَدَّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد النيسابوري قال: سمعت أبا إسحق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم بن طَوْلٍ يقول: سمعت أبي يقول: سألت الحسن بن الفضل فقلت له: إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن، فهل تجد في كتاب الله تعالى: خير الأمور الوسط؟ قال: نعم...).

وإذا تجاوزنا المؤلفات التي اقتصرت عليها، إلى الكتب الأخرى التي تضمنتها إلى جانب ما تضمنته من العلوم القرآنية، واللغوية، والأدبية، نجد أن أبا منصور الثعالبي، كان قد أَوْرَدَ كثيرًا من ألفاظ القرآن الجارية مجرى الأمثال السائرة. وكثيرًا ا قابل بينها وبين أمثال العرب، والعجم، والعامة والخاصة، في أكثر من كتاب من كتبه[5].

كما عَقَدَ جعفر بن شمس الخلافة فصلاً لِما يتمثّل به من ألفاظ القرآن[6]. وصنع الأبشيهي صنيعه، فَعَقَدَ فصلاً للأمثال القرآنية السائرة[7]. وأَوْرَدَ السيوطي ــ عن الماوردي ــ طائفة من الأمثال الكامنة[8].

وهكذا أكثر علماء العربية من الحديث عن أمثال القرآن السائرة، أو الكامنة، أو الجارية مجرى الأمثال السائرة، من غير أن يكون لهم دليل على مَثَلِيَّتِها. فلم يصرح القرآن بمثليتها، ولم تجرِ مجرى الأمثال القرآنية المصرح بها، ومن هنا كانت الإفادة من كل هذه الفصول، والأبواب التي وَرَدَتْ في هذه الكتب محدودة.

---

(٤) رسالة مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٢٦٤ تفسير.

(٥) انظر الإعجاز والإيجاز: ١٤ــ١٥، خاص الخاص: ١١ــ٢٩، التمثيل والمحاضرة ١٥ــ١٩.

(٦) الآداب: ٦١ــ٦٢.

(٧) المستطرف: ١/٣٨ــ٣٩.

(٨) الإتقان: ٢/١٣٢ــ١٢٣.

أما المحدثون من الباحثين والدارسين، فأول ما يطالعنا من جهودهم في هذا الشأن المجهود الذي بذله الأستاذ أمين الخولي. فلقد ألقى محاضرات على طلاب الجامعة في الأمثال القرآنية. فأجرى تحقيقًا لغويًا لكلمة مَثَل، وانتهى إلى أنها مِن البروز والشخوص. وجمع الآيات التي تضمنت لفظ المَثَل. كما جمع الأمثال التي عالجت موضوعًا واحدًا، أو موضوعات متقاربة. وحلّل مثلين من أمثال الحياة الدُنيا في القرآن، وقارن بين المَثَلين. وقد أفدت من محاضراته في مواضع عدة من البحث، وأشرت إليها في مواضعها.

وكتب الأستاذ منير القاضي مقالاً طويلاً في مجلة المجمع العراقي عن أمثال القرآن، أجرى فيه تحقيقًا للفظ المَثَل، وأورَدَ أمثال التمثيل والتشبيه والمقارنة والموازنة، وعلّق على كلٍ منها تعليقًا موجزًا، أشار فيه إلى جمال الصورة في المَثَل وبراعتها.

وألّفَ الدكتور علي أصغر حكمتْ كتابًا في أمثال القرآن باللغة الفارسية. سمّاه (أمثال القرآن) تحدث فيه عن معنى كلمة مَثَل، وجمع أقوالاً لعلماء العرب والمستشرقين في هذا الشأن، وأكدَ أنها من المشابهة والمماثلة في العربية وفي أخواتها الساميات. كما تحدَّثَ عن أنواع الأمثال القرآنية، فأشار إلى الأمثال الظاهرة والكامنة. وأورَدَ أقوال عدد من المستشرقين في مصادر بعض الأمثال القرآنية. ومن ثم ضمَّنَ كتابه ثلاثة وخمسين مثلاً، ذهب إلى أنها جميعًا من التشبيهات التمثيلية، وإن لم تكن كلها تمثيلات كما ذهبَ، بل إن منها ما لم يكن تشبيهًا، ومع ذلك فلو كان الكتاب قد أُلِّفَ باللغة العربية، أو تُرجِمَ إليها، لأمكنني أن أفيد منه أكثر مما أفدت.

وللدكتور عبد المجيد عابدين رسالة جامعية موضوعها (الأمثال في النثر العربي القديم، مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى) تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة. وقد تعرّض فيها لغير قليل من موضوعات بحثي هذا ولكن بإيجاز شديد، اقتضته طبيعة موضوع بحثه. وقد أفدت منه كثيرًا في غير قليل مما تعرّض له، ولا سيما تحقيقه لمادة (م ث ل) ومعنى المَثَل لغة واصطلاحًا ، وما ذكره بشأن عدد الأمثال القرآنية، وأنواعها، وإن انتهيت إلى غير ما انتهى إليه.

وللأستاذ نور الحق تنوير رسالة جامعية، موضوعها (أمثال القرآن، وأثرها في الأدب العربي إلى نهاية القرن الثالث الهجري) تقدّم بها لنيل درجة الماجستير، من كلية دار العلوم وقد تضمنت الرسالة: مقدمة، وتمهيدًا، وبابين، وخاتمة، وقائمة بأسماء

المراجع والمصادر، وخلاصة للبحث باللغة الإنكليزية.

وقد تحدّث في التمهيد عن معنى المَثَل لغة واصطلاحًا، وأقسام المَثَل، ومكانته وتحدث في الباب الأول عن الأمثال القرآنية وأنواعها. وخصّص الباب الثاني لدراسة الأدب العربي وتلمس الآثار القرآنية فيه. ومن هنا فالباب الثاني لا علاقة له ببحثي، ولا أثر له فيه.

أما ما تحدّث به في التمهيد والباب الأول من رسالته، فلا يكاد يتفق مع أكثر ما تحدثْتُ به في غير العناوين؛ إذ سلكت في هذا البحث سبيلاً غير السبيل التي كان قد سلكها. ويمكن أن ألخص الفروق بين البحثين فيما يأتي:

أولاً: خصصت في بحثي فصلاً حللت فيه طائفة من الأمثال القرآنية، وقارنت بين ما تماثل منها. وخلا بحثه من تحليل أي لها.

ثانيًا: خصصت فصلاً لمقارنة أمثال القرآن بأمثال العهدين (القديم والجديد) وأمثال الجاهلية. وخلا بحثه من مثل هذه المقارنة.

ثالثًا: تحدثت عن الموضوعات التي تناولتها الأمثال القرآنية. ولم يتحدث عنها في بحثه.

رابعًا: استخلصت أهمية الأمثال القرآنية مما تحدث به القرآن الكريم عنها. واكتفى في بحثه بجمع ما قاله العلماء في أهميتها.

خامسًا: ذكر أنواعًا من الأمثال القرآنية، في حين اقتصرت على ما صرح القرآن بمثيله، وما أمكن قياسه على المصرح بمثليته منها لا غير.

سادسًا: انتهى إلى أن المثل من البروز والشخوص، وانتهيت إلى أنه من المثال أو النموذج.

سابعًا: تناول أمورًا لا تمتُّ إلى المَثَل بصلة، كالحديث عن الموطن الأول للساميين ومكانة اللغة العربية، وحياة العرب قبل الإسلام، واتصالهم بالمدنية والحضارات المجاورة ـــ على حد تعبيره ـــ ولم أتحدث عمّا لا صلة له بالمَثَل.

ثامنًا: عمَدَ إلى جمع آراء العلماء من غير ما تفريق لها على موضوعات البحث، بحسب ما يقتضيه كل موضوع. واكتفى بإيراد جميع ما قاله كل من أولئك العلماء في رأي واحد. فقال: (رأى بركلمان في الأمثال، رأي الشيخ المرصفي، رأي أحمد الهاشمي، رأي جرجي زيدان...) وهكذا. ولم أفعل شيئًا من هذا، وأخذت مما قاله كل منهم

بحسب ما اقتضته المسألة التي عالجتها.

وبعد هذا كله، فإني لا أريد أن أقلل من قيمة مجهود مَنْ سبقني في خدمة القرآن الكريم وأمثاله، وإن خالفته في أكثر ما تضمنه بحثه، وأسفَرَ عنه مجهوده.

وختامًا فإني لأعترف بالفضل لكل مَنْ سبقني في الحديث عن موضوع البحث، يستوي في هذا مَنْ وافقت ومَنْ خالفت. ولا أرى في مجهودي هذا غير تتمة لجهودهم تلك، التي قد لا تخلو من فائدة فجزاهم الله خيرًا عمّا بذلوه.

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥)

محمد جابر الفيّاض

الباب الأول

المثل وعلاقته بغيره

الفصل الأول

المثل وما يتعلق به

أولاً: معنى المثل

أ ـ المثل في معاجم اللغة.

ب ـ المثل في كتب التفسير.

جـ ـ المثل عند البلاغيين وجُمّاع الأمثال.

د ـ المثل لدى الباحثين المحدثين والمعاصرين.

هـ ـ ما انتهيت إليه.

ثانيًا: ضَربُ المثل.

ثالثًا: حكايةُ المثل (عَدَم تغيره).

رابعًا: الغرابة في الأمثال

خامسًا: أهمية الأمثال.

سادسًا: أنواع الأمثال.

أولاً: معنى المثل

«لا شيء أخطر من تصور سهولة تقرير معاني الكلمات، وخاصة إذا كانت كثيرة التداول بين الناس»[1]. ولفظة (مثل) بصيغها المختلفة من أكثر الألفاظ تداولاً وشيوعًا، فقد لاكتها ألسن العامة والخاصة على حدٍّ سواء. لذا فإن تَصوُّرَ سُهولة تقرير معناها، لم يكن بمنجى عن تلك الخطورة، فصار لزامًا على باحث الأمثال أن يقف ويطيل الوقوف على مختلف الجهود التي بُذلت للكشف عن دلالتها أو تقرير معناها، قبل المجازفة بتقرير معنى بعينه، أو دلالة بذاتها.

ولمّا كانت الأمثال قد نالت اهتمام اللغويين، والمفسّرين، والبلاغيين، والذين عُنُوا بجمعها، أو دراستها، وحظيت بجهود هؤلاء كلهم، فليس لنا أن نغض الطرف عن كل تلك الجهود، أو بعضها، في الوقت الذي نستشعر فيه مثل هذه الصعوبة، وندرك أن جهود كل فئة ممن حظيت باهتمامهم قد لا تغني عمّا بذلته الأُخرى.

وإذا كان من الطبيعي أن يعود باحث الأمثال إلى معاجم اللغة، لمعرفة دلالة اللفظة لغة، ويعود إلى كتب البلاغة والأمثال، ليتبين مدى العلاقة بين معناها اللغوي والاصطلاحي، فإن من الطبيعي كذلك أن يعود باحثها، ــ وباحث الأمثال القرآنية منها على وجه الخصوص ــ إلى كتب التفسير، لكثرة ورود اللفظة في القرآن الكريم، ومحاولة المفسّرين إيضاح معناها فيما وَرَدَتْ فيه من آيات.

والذي يزيد في ضرورة الرجوع إلى كتب التفسير، والوقوف على ما قاله المفسّرون فيها، إن أصحاب المعاجم اللغوية كانوا قد أخذوا معظم ما ضمنوه معاجمهم تحت هذه المادة من الاستعمال القرآني لها.

ومن هنا رأيت أن أقف على ما قيل عنها في معاجم اللغة، وكتب التفسير، وما قاله فيها مَنْ كان له فضل السبق في بحثها، ودراستها، وأن أناقش هؤلاء وأولئك، ومن ثم أعرض خلاصة ما توصلت إليه.

أ ــ المثل في معاجم اللغة:

شَعَرَ الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٥ هـ بما بين المَثَل والمِثل من فارقٍ

---

(١) الدكتور مصطفى ناصف: نظرية المعنى في النقد العربي: ١٥١.

فقال: (يُقال هذا عبدالله مِثلك، وهذا رجل مِثلك، لأنك تقول: أخوك الذي رأيته بالأمس مِثلك ولا يكون ذلك في مَثَل)(٢) واكتفى أبو بكر بن دريد ت ٣٢١هـ بالإشارة إلى معرفة الناس بالأمثال السائرة، فقال (والمَثَل السائر معروفٌ من الأمثال، وجمع مَثَل: أمثال، وكذلك مِثْل)(٣).

ويبدو أن تفريق الخليل بين اللفظين لم يَحُل دون ربط أكثر اللغويين بينهما، وإن خَصُّوا المَثَل بما لم يخصوا به المِثْل من معانٍ. فقال إسحق بن ابراهيم الفارابي ت ٣٥٠ هـ (والمَثَل واحد الأمثال، والمَثَل الوصف، والمَثَل بمعنى المِثل، كما يُقال شَبَه، وشِبْه)(٤) وذهب اسماعيل بن حماد الجوهري ت ٣٧٠ هـ إلى مثل ماذهب إليه الفارابي، فقال (يُقال: هذا مِثْله ومَثَله، كما يُقال شِبْهه وشَبَهه بمعنى.. والمَثَل ما يُضرب به من الأمثال، ومَثَل الشيء أيضًا ــ صفته)(٥). وصرح أحمد بن فارس ت ٣٩٥هـ برجوع مصطلح المَثَل السائر إلى الشَبَه قائلاً: (الميم، والثاء، واللام، أصل صحيح، يدل على مناظرة الشيء للشيء. وهذا مِثْل هذا: أي نظيره، والمِثْل والمثال في معنى واحد..، والمِثْل والمَثَل، كشِبْه وشَبَه. والمَثَل المضروب مأخود من هذا، لأنه يذكر مُوَرّى به عن مَثيله في المعنى)(٦).

وللحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني ت ٥٠٢هـ) في الأمثال السائرة مثل هذا القول مع شيء من التفصيل، فالمَثَل عنده (قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر نحو قولهم: (الصيفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَن) فإنَّ هذا القول يشبه قولك: أهملت وقت الإمكان أمرك، وعلى هذا ما ضرب الله تعالى من الأمثال)(٧). ونقل إضافة بعضهم ــ على حد قوله ــ معنى الوصف ــ على قلة ــ للمِثْل والمَثَل إضافة على السواء قائلاً: (قال بعضهم وقد يعبّر بهما عن وصف الشيء أيضًا) نحو قوله:

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (محمد: ١٥)

---

(٢) اللسان: (م ث ل).
(٣) ديوان الأدب: المادة ذاتها ــ مخطوط.
(٤) مقاييس اللغة: المادة ذاتها.
(٥) المرجع نفسه.
(٦) الجمهرة: المادة ذاتها: ٢/٥٠.
(٧) الصحاح: المادة ذاتها.

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ (الشورى: ١١)

قيل المِثْل ههنا بمعنى الصِّفَة)[٨]. وظل الذين جاءوا بعدهم يؤكدون معنى الشَبَه، ويُصَدِّرون به ما تضمنته معاجمهم عن المادة اللغوية ـــ وإن كانوا قد أضافوا للمَثَل معاني أخرى ـــ فمحمد بن مكرم بن منظور ت ٧١١هـ ابتدأ المادة بنفس ما ابتدأها به الجوهري، وذهب في الأمثال المضروبة إلى مثل ما ذهب إليه، فقال: (مِثْل كلمة تسوية يُقال هذا مثْله، كما يُقال شِبْهه وشَبَهه بمعنى.. والمَثَل الشيء الذي يُضرب لشيء مَثَلاً فيجعل مِثْله، وفي الصحاح ما يُضرب به من الأمثال. قال الجوهري: ومَثَل الشيء أيضًا صِفَته)[٩]. وأورد في موسوعته اللغوية أكثر ما قيل عن المادة، فضمنها معاني للمَثَل لم تتضمنها المعاجم السابقة كالعِبرة والآية والحديث نفسه. فقال (وقد يكون المَثَل بمعنى العبرة، ومنه قوله عز وجل:

﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾ (الزخرف: ٥٦)

ومعنى قوله ومَثَلاً أي عبرة يعتبر به المتأخرون، ويكون المَثَل بمعنى الآية. قال الله عز وجل في صفة عيسى ـــ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـــ

﴿ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (الزخرف: ٥٩)

أي آية تدل على نبوته.. والمَثَل الحديث نفسه. وقوله عز وجل:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (النحل: ٦٠)

جاء في التفسير أنه: قول لا إله إلاّ الله، وتأويله أن الله أمر بالتوحيد ، ونفى كل إله سواه، وهي الأمثال)[١٠]. وهذه المعاني مما ذهب إليها المفسّرون في تفسيرهم للمَثَل ـــ كما سيتضح عند عرض أقوالهم فيه[١١]. هذا ولم يقتصر ما أضافه ابن منظور على المعاني السابقة، فقد أضاف ـــ كذلك ـــ معنى العلميَّة فقال (المَثْل

(٨) المفردات: المادة ذاتها.
(٩) اللسان: (م ث ل).
(١٠) اللسان: (م ث ل).
(١١) يُنظر في هذا الفصل المَثَل في كتب التفسير: ٣٤ـــ٣٩.

ــ بفتح فسكون ــ مأخوذ من المَثَل ــ بالتحريك ــ لأنه إذا شَنَّع في عقوبته جَعَلَهُ مَثَلاً وعَلَمًا)[١٢]. وأهم من هذا كله تفسيره لِلْمَثَل بالمِثال في قوله (والمَثَل ما جُعِلَ مِثالاً: أي مقدارًا لغيره يحذى عليه)[١٣]. وهو ما أفاده من قول محمد بن يزيد الثمالي ــ المعروف بالمبرد ت ٢٨٦هـ (.. وإنما المَثَل مأخوذ من المِثال والحذو)[١٤].

وكما أضاف ابن منظور هذه المعاني، فقد أضاف محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ت ٨١٧ هـ إليها معنى الحجة فقال (المِثْل بالكسر والتحريك، والمثيل كأمير: الشبه.. والمثل ــ محركة ــ الحجة، والحديث،.. والصفة)[١٥]. وجمع محمد مرتضى الزبيدي ت ١٢٠٥هـ ما تضمنته المعاجم السابقة عن المادة، ولم يزد عليها زيادة تذكر غير ما رواه عن شيخه ــ أبي عبدالله محمد بن الطيب بن محمد الفاسي ت ١١٧٠هـ ــ من احتمال اطلاق المَثَل على الصفة مجازًا، فقال: «قال شيخنا، ويمكن أن يكون إطلاقه عليها من قبيل المجاز لعلاقة الغرابة»[١٦]. وأورد الشيخ أحمد رضا ــ عضو المجمع العلمي العربي سابقًا بدمشق ــ كل تلك المعاني، غير أنه قَيَّدَ (الآية) بقوله (الدالة على شيء)[١٧]. وربما كان قد تأثر في هذا بقول ابن منظور السابق في قوله تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (الزخرف: ٥٩)

(أي آية تدل على نبوته).

وقد اقتصر المعجم الوسيط ــ في الحديث عن المَثَل ــ على القول (المَثَل: المِثْل و... جملة من القول مقتطعة من كلام، أو مرسلة بذاتها، تنقل عمن وردت فيه إلى مشابهة بدون تغيير مثل (الصَّيفَ ضَيَّعْتِ اللَّبن) و (الرائدُ لا يكذبُ أهلَه).. والأسطورة على لسان حيوان أو جماد، كأمثال كليلة ودمنة.

---

(١٢) اللسان: (م ث ل).
(١٣) المكان نفسه.
(١٤) المقتضب ــ مخطوط ــ ٥٧٠٣.
(١٥) القاموس: (م ث ل).
(١٦) التاج: المادة ذاتها.
(١٧) معجم متن اللغة: المادة ذاتها.

ومن هذا كله يتضح أن اللغويين ــ قديمهم وحديثهم ــ كانوا قد أجمعوا ــ أو كادوا ــ على أن المَثَل : الشَبَه. وربط أكثرهم بين المِثْل والمَثَل، وإنْ أشار قسم منهم إلى ما بين اللفظين من فارق، كالذي ذكره الخليل من أن المَثَل ــ بالتحريك ــ لا يوضع موضع المِثْل ــ بالسكون ــ وكالذي نقله أحمد بن محمد الفيومي ت ٧٧٠ هـ بقوله (والمَثَل بفتحتين والمَثِيل وَزْنُ كريم كذلك، وقيل المكسور بمعنى شِبْه والمفتوح بمعنى الوَصْفُ)[١٨].

والواقع أن المَثَل وإن تضمن معنى الشَبه، فإنَّ هذا لا يدعو إلى ربطه بالمِثْل ــ بكسر فسكون ــ مِثْلَ هذا الربط المُحْكَم، حتى لكأن اللفظين لفظ واحد، لأن المِثْلَ ــ بكسر فسكون ــ يمكن أن يطلق على عموم المماثلة، وليس المَثَل ــ بالتحريك ــ كذلك، وقد نَبَّهَ الراغب الأصفهاني إلى ما في المِثْلِ من عموم فقال : (... والمِثْلُ عام في جميع ذلك، ولهذا لَمّا أراد الله تعالى نفي التشبيه من كل وجه، خَصَّهُ بالذِّكْرِ فقال:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ (الشورى: ١١)[١٩]

ومن هنا فإن تفسير المَثَل به تعميم، لا يوضح دلالة المَثَل بدقة.

وإذا تجاوزنا معنى الشَبَه إلى العِظَةِ والعِبْرَةِ والآية، والحُجَّة، والحديث نفسه، وما أشْبَه ذلك ــ عدا الصِّفَة ــ نجد أن كل هذه المعاني مما ذهب إليها المفسّرون في تفسير المَثَل لم تتضمنها أكثر المعاجم اللغوية قبل اللسان. ويمكن أن نرجىء الحديث عنها عند عرض أقوال المفسّرين في المَثَل. أما الصفة فإن من بين أصحاب المعاجم مَنْ لم يتعرض لذكرها، منهم: ابن دريد وابن فارس، كما لم يذكرها جار الله محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨هـ في أساس البلاغة. وإن من اللغويين القدامى مَنْ رفض تفسير المَثَل بها، ونقل ابن منظور اختلافهم هذا بقوله (قال الجوهري: ومثل الشيء أيضًا صفته، قال ابن سيده: قوله عَزَّ مِنْ قائل:

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (محمد: ١٥)

قال الليث: مثلها هو الخبر عنها، وقال ابو اسحٰق: معناه صفة الجَنَّة، وَرَدَّ ذلك أبو

---

(١٨) المصباح: (م ث ل).

(١٩) المفردات: المادة ذاتها.

علي قال: لأن المَثَل الصفة غير معروف في كلام العرب، إنما معناه التمثيل. قال عمر ابن خليفة: سمعت مقاتلاً صاحب التفسير يسأل أبا عمرو بن العلاء عن قول الله عزّ وجل (مَثَلُ الجَنَّة) ما مثلها؟ فقال: فيها أنهار من ماء غير آسن. قال ما مَثَلها؟ فسكت أبو عمرو. وقال: فسألت يونس عنها فقال: مَثَلها: صِفَتُها. قال محمد بن سَلاّم ومِثْل ذلك قوله عَزَّ وجلّ:

﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ ﴾ (الفتح: ٢٩)

أي صِفَتُهم. قال أبو منصور: ونحو ذلك رُوِيَ عن ابن عبّاس.. قال أبو منصور وللنحويين في قوله تعالى:

﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ (محمد: ١٥)

قول آخر. قال محمد بن يزيد الثّمالي في كتاب المُقْتَضَب قال: التقدير: فيما يُتلى عليكم مَثَل الجنة، ثم فيها وفيها، قال: ومن قال: إنّ معناه صفة الجنة فقد أخطأ، لأن مَثَل لا يوضع موضع صفة، إنما يُقال: صفة زيد أنه ظريف وأنه عاقل، ويقال: مَثَل زيد مَثَل فلان. إنما المَثَل مأخوذ من المِثال والحذو، والصفة تَحْلِيةٌ ونعت)[٢٠].

والظاهر أن رفض المبرد وأبي علي الفارسي (الحسن بن أحمد ت ٣٧٧هـ) تفسير المَثَل بالصفة، وليد التمسك بأهداب اللفظ ومظهر من مظاهره ، وإلاّ فإن التمثيل الذي قال به أبو علي غير بعيد عن الوصف المفضي إلى الصورة، أو الصفة التي تُصوِّر الموصوف وتمثِّله، فجاء في مادة مثل من اللسان (مثَّل له الشيء صوَّره حتى كأنه ينظر إليه.. ومنه الحديث: «لا تُمَثِّلوا بنامية الله» أي لا تُشَبِّهوا بِخَلقِه وتُصوِّروا مِثلَ تصويره). وما وُصِفت به الجنة ـــ موضع الخلاف ـــ من هذا النوع من الوصف، ولو كان المَثَل بمعنى الصِّفة أو الوصف الذي أشرت إليه غير معروف في كلام العرب، لما رأينا كل أولئك اللُّغويين يفسّرونه بها. واعتراض المُبرِّد بأن الصفة لا توضع موضع المَثَل يصدق على التمثيل الذي قال به أبو علي صِدقه على الصفة، إلاّ أنَّ اعتراضه هذا غير مُسَلَّم به، إذْ ليس بالإمكان التقيُّد في تفسير الألفاظ بما يُوضع في مواضعها، وقد رأينا أبا علي يُفَسِّر المَثَل بالتمثيل، مع معرفته أنَّ التمثيل

(٢٠) اللسان: (م ث ل).

لا يوضع موضع المَثَل. وقد كان تفسيره هذا موفقًا في الكشف عن دلالة من دلالات المَثَل، وجانب من جوانبه، ولم يكن المبرّد أقلّ منه توفيقًا في هذا الشأن، إن لم يكن أكثر، لأنّ قوليهما يعزز أحدهما الآخر ويُمَكِّنُه لما بين المثال والتمثيل من علاقة وثقى، فلئن كان المثال: الشيء الذي يحذى عليه، فإن الحذو عليه تمثيل به قالوا (مثّل الشيء بالشيء: جعله مثْله وعلى مِثاله)[21]. ويمكن أن تُلاحظ مثل هذه العلاقة بينهما وبين التمثيل، فليس المثال وليد التمثيل فَحَسْب، بل وليد التَمَثُّل والتَمْثيل، فكلاهما لازم له، غير منفصل عنه، فكما ربط اللغويون بين المثال والتمثيل، فقد ربطوا بينهما وبين التَمَثُّل كذلك، فقال الزمخشري (ومَثَّل مِثالاً وتَمَثَّله: اعتمله)[22] وأكثر من هذا أنهم أشاروا به إلى ما بين التَمَثُّل والمَثَل ذاته، بمثل ما أشاروا إلى ما بين المَثَل والتمثيل، فقيل (مثَّل تمثيلاً وتمثالاً بالشيء: ضربه مَثَلاً.. وتمَثَّله.. وتَمَثَّل به بمعنى واحد، وتَمَثَّل بالشيء: ضربه مَثَلاً)[23].

هذا والأمثال الحكمية الجاهلية وليدة التَمَثُّل الدقيق، أكثر من كونها وليدة المِثال والتمثيل. ومن هذا كله يتضح: إن المَثَل كان قد أُطلق على المثال، والتمثل والتمثيل اللازمين له، وأن هذه المعاني ــ على تعددها ــ مؤتلفة مع بعضها، متداخلة تداخلاً يكاد يقود القول بأي منها إلى المعنيين الآخرين، وإذا كان لابد من الإشارة إلى الأصل المادي الذي أُخذ المَثَل عنه، فأكبر الظن أنه كان قد أُخذ عن الحجر الذي نُقِرَ في وجهه، على قدر طرف العمود ليدخل فيه فيثبت، أو المكحال لِحَتِّهم إيّاه كيما يمكن دخوله في فوهة المكحلة، فقد أطلق العرب عليهما لفظ المثال للتماثل القائم بين طرف العمود والنقرة في وجه الحجر، والمكحال وفوهة المكحلة قال ابن منظور : «والمثال حجر قد نُقِرَ في وجهه نقر على خِلقَة السمة سواء، يجعل فيه طرف العمود أو الململ[24] المُضَهَّب[25]، فلا يزالون يحُتُّون منه ــ بأرفق ما يكون ــ

(٢١) اللسان: (م ث ل).

(٢٢) الأساس: المادة ذاتها.

(٢٣) معجم متن اللغة: المادة ذاتها.

(٢٤) (الململ: المكحال اللسان (م ل ل).

(٢٥) تضهيب القوس والرمح: عرضهما على النار عند التثقيف، وضهبه بالنار: لَوَّحه وغَيَّره، اللسان (ض هـ ب).

حتى يدخل المثال فيه، فيكون مثله»[٢٦] ومنه أُطلق على القالب. وقال أبو حنيفة: «المِثال قالب يدخل عين النصل في خرق في وسطه، ثم يُطْرَقُ غراراه حتى ينبسط»[٢٧]. ومنه أُطلق على كل مايحذى عليه، أو يُحتذى به. قال الراغب الأصفهاني: «والمِثال: وضع شيء ما ليُحتذى به»[٢٨].

ومما بين المِثال وما حُذي عليه من مماثلة ومشاكلة أخذ (التمثال) بمعنى (الصورة)[٢٩] لكونها تماثل الشيء الذي هي صورة له، كما أطلق المِثال على القصاص، أو العقوبة بالمِثل لحذوهم المقتص منه على المقتص له، فقالوا: «أَمْثَلَهُ إمْثالاً وأقصَّه إقصاصًا بمعنى، والاسم المِثال والقَصاص»[٣٠]، فتضمن المِثال معنى العقوبة فضلاً عمّا كان قد تضمنه من معنى المماثلة. ومن المِثال بمعنى القَصاص أُخِذَ المُثُل والمُثْلَة: بمعنى التنكيل، فقالوا: «مَثَّل به يُمَثِّل مَثْلاً أي: نَكَّل به، والاسم المُثْلَةُ»[٣١] قال ابن فارس: وقولهم «مَثَّل به إذا نَكَّل، هو من هذا أيضًا، لأنَّ المعنى فيه أنه إذا نَكَّل به جعل ذلك مثالاً لكل مَنْ صنع ذلك الصنيع أو أراد صُنعه»[٣٢]. وربما كان قولهم (مِثل ماثِل) بمعنى (جهد جاهِد)[٣٣] غير بعيد عن المَثْل بمعنى العقوبة الواضحة، لما في المِثل الماثِل من إجهاد ومعاناة.

وهكذا نجد أن أبرز ما جاء من مادة (م ث ل) قد تضمن معنى المماثلة ما اقترن منها بالعقوبة، وما لم يقترن بها، فلم يبعد ابن فارس في قوله: «الميم والثاء واللام: أصل صحيح، يدل على مناظرة الشيء للشيء»[٣٤] ولم يكن من قبيل المصادفة إجماع اللغويين على تفسير المَثَل بالشَبَه.

(ب) المَثَل في كتب التفسير:

ذهب محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ إلى أنّ المَثَل: الشَبَه، فقال (المَثَل:

---

(٢٦) اللسان: (م ث ل).
(٢٧) المرجع نفسه
(٢٨) المفردات: (م ث ل).
(٢٩) الصحاح: المادة ذاتها.
(٣٠) اللسان: المادة ذاتها.
(٣١) الصحاح: المادة ذاتها.
(٣٢) مقاييس اللغة: المادة ذاتها.
(٣٣) القاموس: المادة ذاتها.
(٣٤) مقاييس اللغة: المادة ذاتها.

الشَبَه، يُقال: هذا مِثل هذا، ومَثَله، كما يُقال شِبهه وشَبهه. ومنه قول كعب بن زهير:

«كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً   وما مواعيده إلاّ الأباطيل[٣٥]

يعني شبهًا»[٣٦] وفسر المَثَل بهذا المعنى في أكثر ما ورد فيه من آيات كقوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾ (البقرة: ٢٦)

حيث قال: «إنَّ الله لا يَخْشى أن يَصِفَ شَبَهاً لِما شَبَّه به»[٣٧] والآية:

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾

(العنكبوت: ٢٩)

حيث قال: «وهذه الأمثال: وهي الأشباه والنظائر نضربها للناس: يقول نشبهها ونحتج بها»[٣٨] وأكّد هذا المعنى عند تفسيره للآية:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ﴾

(البقرة: ٢١٤)

فقال «يعني شَبَه الذين خلوا فمضوا قبلكم.. وقد دللت في غير هذا الموضع على أنّ المَثَل الشَبَه»[٣٩]، غير أنه كان قد فسره بغير الشبه في بعض ما ورد فيه من آيات ففسره بالعبرة والعظة[٤٠] في الآية:

﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾ (الزخرف: ٥٦)

وبالآية والحجة[٤١] في الآية:

---

(٣٥) جامع البيان: ١/١٣٩ــ١٤٠.
(٣٦) المرجع نفسه: ١/١٤٠.
(٣٧) المرجع نفسه: ٢٠/٩٨.
(٣٨) المرجع نفسه: ٢/١٩٩.
(٣٩) المرجع نفسه: ٢٥/٥١.
(٤٠) المرجع نفسه: ٢٥/٥٣.
(٤١) المرجع نفسه: ١٣/١٠٩.

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (الزخرف: ٥٩)

وبالصِّفة وذات الشيء أو الشيء ذاته[٤٢] في الآية:

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (الرعد: ٣٥)

وفَسَّره بما يتنافى والشبه الذي قال به، وأكدّه أكثر من مرة وذلك حين وَرَدَ في الآيات المتعلقة بذات الله، كقوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (النحل: ٦٠)

إذ قال «وهو الأفضل والأطيب والأحسن والأجمل، وذلك التوحيد والإذعان له، بأنه لا إله غَيْرُهُ»[٤٣]، فهو ما إنْ رأى أنَّ الأفضل والأطيب والأحسن والأجمل قد تشعر بالمشابهة، حتى بادر فألحق بها تفرد الخالق بالوحدانية، وإذعان المخلوقات وتأليهها له، ولَمّا وقف ليفسر الآية:

﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (الروم: ٢٧)

لم يورد شيئًا مما كان قد أورده في نظيرتها، مما قد يشعر بالمشابهة ، بل أكّد عدم المماثلة بقوله: (وهو أنه لا إله إلاّ هو وحده لا شريك له، ليس كَمِثْلِهِ شيء)[٤٤].

ومهما يكن من شيء، فلقد كان ما ذهب إليه الطبري نبراسًا للمفسِّرين الذين جاءوا بعده، إذ صِرنا نجد في كل تفسير حديثًا عن المَثَل، لا يكاد يختلف عن حديثه، في غير ما أشاروا إليه، وصَرَّحُوا به من استعارته للحال، والصفة، والقصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة، وإطلاقه على القول السائر الممثل مضربه بمورده، فقال الحسين بن مسعود البغوي ت ٥١٦ هـ في تفسير الآية:

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ (البقرة: ١٧)

(مَثَلُهم: شَبَهُهُم، وقيل: صفتهم، والمَثَل: قول سائر في عُرف الناس يُعرف به معنى

---

(٤٢) المرجع نفسه: ١٤/٨٤ـ٨٥.

(٤٣) المرجع نفسه: ٢١/٢٥.

(٤٤) ديوانه: ٨.

الشيء، وهو أحدُ أقسام القرآن السبعة)[٤٥] وقال الزمخشري (المَثَل في أصل كلامهم بمعنى المِثْل وهو النظير. يُقال مِثل ومَثَل ومثيل، كشِبه وشَبَه وشبيه، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مَثَل. و لم يضربوا مثلاً، ولا رأوه أهلاً للتسيير، ولا جديرًا بالتداول والقبول، إلاّ قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه. وقد أُستعير المَثَل للقصة، أو الصفة إذا كان لها شأن وفيها غرابة)[٤٦]. ونقل محمد فخر الدين الرازي ت ٦٠٦هـ ما ذهب إليه الزمخشري[٤٧] وقال في موضعٍ آخر (والمَثَل هو المِثْل، وهو الشِبه، وهما لغتان مِثْل ومَثَل، كشِبْه وشَبَه إلاّ أنّ المَثَل مستعار لحال غريبة، أو قصة عجيبة لها شأن)[٤٨] وقال في موضوع ثالث «المَثَل: الشبه، الذي يصير كالعلم، لكثرة استعماله فيما شُبِّه به)[٤٩] وقال محمد بن أحمد القرطبي ت ٦٧١هـ (المَثَل والمِثْل المثيل واحد، ومعناه: الشَبَهْ»[٥٠]. وقال محمد بن يوسف الأندلسي الشهير بأبي حيّان ت ٧٥٤هـ «المَثَل في كلام العرب بمعنى المِثْل والمَثيل كشَبَه وشِبْه وشبيه وهو النظير ــ ونقل عن اليزيدي قوله ــ إن الأمثال: الأشباه، وأصل المَثَل الوصف، وهذا مَثَل كذا أي: وصفه مُساو لوصف الآخر بوجه من الوجوه ــ وأضاف أبو حيّان قائلاً: والمَثَل: القول السائر، الذي فيه غرابة من بعض الوجوه، وقيل المَثَل ذكر وصف ظاهر محسوس وغير محسوس، يُستَدَل به على وصف مشابه له من بعض الوجوه، فيه نوع من الخفاء ليصير في الذهن مساويًا للأول في الظهور، من وجه دون وجه»[٥١].

واكتفى اسماعيل بن كثير ت ٧٧٤هـ بالقول: (يُقال مِثل، ومَثَل، ومثيل أيضًا، والجمع أمثال)[٥٢].

وجمع محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ت ٨١٧هـ ما نُسب إلى عبدالله بن عباس من أقوال ــ في التفسير ــ في كتاب سمّاه (تنوير المقياس من تفسير ابن

---

(٤٥) معالم التنزيل: ٩٦/١.
(٤٦) الكشاف: ١٤٩/١ـــ١٥٠.
(٤٧) التفسير الكبير: ٢٩٣/١.
(٤٨) المرجع نفسه: ٣١٠/٢.
(٤٩) المرجع نفسه: ٥٠/٣.
(٥٠) الجامع لأحكام القرآن: ١٨٣/١.
(٥١) البحر المحيط: ٧٤/١.
(٥٢) تفسيره: ٩٦/١.

عباس) وقد حظي المَثَل بمعان عدة تكاد تنحصر في الصفة، والشبه، والعبرة، والوجه، والحجة، والسنة، والمِثل، وذات الشيء[٥٣].

وذهب محمد بن محمد المعروف بأبي السعود ت ٩٨٢هـ إلى مثل ما ذهب إليه الزمخشري فقال: «المَثَل في الأصل بمعنى المثيل والنظير. يُقال مِثْل ومَثَل، ومثيل، كشِبه وشَبَه، وشبيه. ثم أُطلق على القول السائر الذي يُمَثَّل مضربه بمورده. وحيث لم يكن ذلك إلاّ قولاً بديعًا، فيه غرابة صيرته جديرًا بالتسيير في البلاد، وخليقًا بالقبول فيما بين كل حاضر وباد استعير لكل حال، أو صفة، أو قصة لها شأن عجيب، وخطر غريب، من غير أن يلاحظ بينها وبين شيء آخر بشبه، ومنه قوله عز وجل:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (النحل: ٦٠)

أي الوصف الذي له شأن عظيم، وخطر جليل. وقوله تعالى:

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (الرعد: ٣٥) (محمد: ١٥)

أي قصتها العجيبة الشأن[٥٤]. وأسهب أبو الثناء محمود شهاب الدين الآلوسي ت ١٢٧٠هـ في الحديث عن المَثَل فقال: «المَثَل ــ بفتحتين ــ كالمِثل ــ بكسر فسكون ــ والمَثَل في الأصل ــ النظير والشبيه، والتفرقة لا أرتضيها. فكأنه مأخوذ من المثول، وهو الانتصاب، ومنه الحديث «مَنْ أحَبَ أن يَمْثُلَ له الناس قيامًا ، فَلْيَتَبَوَّأْ مقعده من النار» ثم أُطلِقَ على الكلام البليغ الشائع الحسن، المشتمل على تشبيه بلا شبيه، أو استعارة رائعة تمثيلية وغيرها، أو حكمة وموعظة نافعة، أو كناية بديعة، أو نظم جوامع الكلم الموجز. ولا يُشْتَرَطُ فيه أن يكون استعارة مركبة ــ خلافًا لِمَنْ وهم ــ بل لا يُشترط أن يكون مجازًا. وهذه أمثال العرب أُفرِدَت بالتأليف، وكثرت فيها التصانيف، وفيها الكثير مستعملاً في معناه الحقيقي. ولكونه فريدًا في بابه، وقد قُصِدَ لحِكايته، لم يُجيزوا تغييره، لفوات المقصود. وتفسيره بالقول السائر الممثل مضربه بمورده، تَرُدُّ عليه أمثال القرآن، لأنَّ الله تعالى ابتدأها، وليس لها مورد من قبل، اللهم إلاّ أنْ يُقال إنَّ هذا اصطلاح جديد، أو إن الأغلب في المَثَل ذلك،

---

(٥٣) تُنظر فيه الصفحات: ١٩٦، ٢١٣، ٣٨٩، ٢٦٦، ٢٨٤، ٣٨٦، ٢٨، ١١٠.

(٥٤) إرشاد العقل السليم: ٣٣٧/١ــ٣٣٨.

ثُمَّ أُستعير لكل حال، أو قصة، أو صفة لها شأن وفيها غرابة. من ذلك قوله:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (النحل: ٦٠)

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (الرعد: ٣٥)

وهو المراد هنا من المَثَل دون التمثيل المدلول عليه بالكاف[٥٥].

وإذا كان الطبري قد فسَّر المَثَل في بعض ما ورد فيه من آيات بغير الشبه، فإن المفسِّرين الذين جاءوا بعده، لم يترددوا في تفسيره بمثْل ما فسَّره به الطبري من معانٍ في تلك الآيات. إذ فسَّروه بالصفة[٥٦] في الآية:

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (الرعد: ٣٥)

وبالعبرة، والعظة، وبكليهما معًا وبالقدوة[٥٧] في الآية:

﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾ (الزخرف: ٥٦)

وبالصِّفة العليا، وانعدام المثل[٥٨] في الآية:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (النحل: ٦٠)

من كل ما تَقَدَّم يتضح، أنَّ المَثَل كان قد حظي في كتب التفسير بمعانٍ عدة. منها ما هو أصلي، ومنها ما هو استعاري، ومنها ما هو اصطلاحي. وأنهم كانوا قد ذكروا له معاني أخرى، لم يذكروا صراحة أكانت أصلية، أم استعاريَّة، أم اصطلاحية. كالآية، والحجة، والعظة، والعبرة.

---

(٥٥) روح المعاني: ١٦٣/١.

(٥٦) جامع البيان: ١٠٩/١٣، الكشّاف ١٦٨/٢، التفسير الكبير ٣٠٤/٥ــ٣٠٥، الجلالين: ٢٠٩ روح المعاني: ٩١/٢٥.

(٥٧) جامع البيان ٥١/٢٥ ــ الكشّاف ٨٢/٣ ــ التفسير الكبير ٤٥٠/٧ ــ روح المعاني ٩١/٢٥ صفوة البيان ٣٠/١٢.

(٥٨) جامع البيان ٨٤/١٤ ــ ٨٥ ــ الكشّاف ٢٠٧/٢ ــ التفسير الكبير ٤٧٦/٥ ــ الجلالين: ٢٦٦ ــ روح المعاني ١٧٠/١٤.

(جـ) المَثَل عند البلاغيين وجمّاع الأمثال:

من الواضح أن البلاغة لم تنشأ مستقلة عن غيرها من فروع العربية، ولم يكن لها في أوائل نشأتها من انفرد ببحث مسائلها، فقد أسهم كثير من علماء العربية وأدبائها ـــ على اختلاف مناحيهم ـــ في الإشارة إلى غير قليل مما عُدَّ ـــ فيما بعد ـــ من صميم البحوث البلاغية. وبث تلك الإشارات في كتب لم تكن البلاغة الطابع المميز لها، على أقل تقدير. ومن هنا كان على الباحث لمصطلحاتها، الحريص على الكشف عنها، وهي أجِنّة تختلج في بطون الكتب، أن يعمد إلى تلك الأرحام.

ولقد أشار الأستاذ أمين الخولي، إلى المنابع المتعددة التي تجمعت منها مباحث البلاغة قائلاً: «فأنت ترى في وادي الأدب العربي نهيرات تنبع من بيئات مختلفة. من البيئة الدينية، كلامية وأصولية، ومن البيئة الأدبية: بيئة الكتّاب والشعراء، وبيئة الرواة وأهل اللغة. وتلتقي هذه النهيرات جميعًا في نقطة واحدة. وهي معرفة طرق إدراك جَيِّد الكلام، وكيف يكون التفريق بين كلام جيد، وآخر ردىء، أو الاقتدار على صنع كلام فصيح، قصيدة منظومة، أو نثرًا مرسلاً. وتلك هي الدراسة البلاغية، التي يتبين مؤرخها الدقيق، تلك العناصر المختلفة في نشأتها وتدرجها»(٥٩) فمجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى ت ٢٠٩هـ ومعاني القرآن ليحيى بن زياد الفرّاء ت ٢٠٧هـ ـــ وإن لم يكونا قد أفردا بالتأليف للمباحث البلاغية المحضة ـــ لم يَخْلُوَا من مثل تلك اللمحات والإشارات. وفي هذا يقول الدكتور شوقي ضيف: «وتكثر هذه الإشارات عند الفرّاء، ت ٢٠٧هـ في كتابه معاني القرآن، إذ عُني فيه بشرح آي الذكر الحكيم شرحًا بسط فيه الكلام عن التراكيب، وتأويل العبارات، وتحدث فيه عن التقديم في الألفاظ والتقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب، والمعاني التي تخرج إليها بعض الأدوات، كأداة الاستفهام، كما تحدَّثَ أو قُلْ أشار إلى بعض الصور البيانية، مثل التشبيه والكناية والاستعارة»(٦٠) وقال في اختيار أبي عبيدة لما ضمنه في (مجازه) من آيات: «... وأدّاه هذا الاختيار، إلى أنْ يتحدّث عمّا في الآية من استعارة وتشبيه وكناية، وتقديم وتأخير، وحذف وتكرار وإضمار، وتوسع في تصور الخصائص التعبيرية، كالدلالة بلفظ الخصوص على معنى العموم، وبلفظ العموم على معنى

---

(٥٩) مناهج تجديد: ٢٦٠.

(٦٠) البلاغة تطور وتاريخ: ٢٩.

الخصوص، وكمخاطبة الواحد مخاطبة الجميع ومخاطبة الواحد مخاطبة الأثنين، وتَنَبَّهَ في ثنايا ذلك الى الصورة العامة للالتفات، وإن لم يقترح لها اسمها الاصطلاحي)(٦١).

وقال الأستاذ محمد خلف الله عن هذين الكتابين، وتأويل مشكل القرآن، لعبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦هـ «هذه الكتب وأشباهها من كتب الدراسات القرآنية في تلك المرحلة: كتب من صميم النقد، فهي تحاول فهم النص، وتَعرُّف ظواهر الاستعمال اللغوي والتركيبي فيه، والإشارة إلى ما فيه من وجوه المجاز»(٦٢). وأشار الدكتور بدوي طبانة، إلى أن البلاغيين كانوا قد عدوا مجاز القرآن، من أقدم ما كُتب في البلاغة، فقال: «وبين أيدينا كتاب بتمامه، يعده البلاغيون أقدم ما كُتب في البلاغة، وذلك هو كتاب (مجاز القرآن)، الذي ألَّفه أبو عبيدة معمر بن المثنى،وقد سبقت الإشارة إلى ما حفزه على تأليفه»(٦٣). فَمِنْ هذا كله تتضح وجاهة الرجوع إلى كثير من مؤلفات تلك الفترة، والوقوف على ما تضمنته من لمحات بيانية، قبل أن يمسك الباحث بمؤلفات البلاغة الصرفة.

وإذا أمسكنا بمجاز القرآن هذا، نجد أن المَثَل كان قد فُسِّر فيه بالشبه، فقال أبو عبيدة في الآية:

﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ﴾ (الرعد: ٦)

(واحدتُها مَثُلَة ، ومجازها مجاز الأمثال) وجاء في إحدى نسخ الكتاب قوله: (وهي الأشباهُ، والأمثال ، والنظائر) مضافًا إلى قوله المتقدم فيها(٦٤). فالمثل عنده: التشبيه، والأمثال: النظائر والأشباه، غير أنه أضاف للمثل معنى الوصف في حديثه عن الآية:

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ (الرعد: ٣٥)

فقال: «مجازه: المكفوف عن خبره، والعرب تفعل ذلك في كلامها. وله موضع آخر، مجازه: للذين استجابوا لربهم الحسنى، مثل الجنة، موصول صفة لها»(٦٥).

---

(٦١) البلاغة تطور وتاريخ: ٣٠.
(٦٢) أثر القرآن في تطور النقد العربي — ١٠.
(٦٣) البيان العربي: ٢١—٢٢.
(٦٤) مجاز القرآن: ٣٢٣/١.
(٦٥) المرجع نفسه: ٣٣٣/١—٣٣٤.

وفسَّر الفَرّاء المَثَل بالتشبيه، بأصرح مما ذكره أبو عبيدة، فقال في الآية:

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ (البقرة: ١٧)

«ولو كان التشبيه للرجال، لكان مجموعًا»[٦٦]. وفي قوله تعالى:

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ ﴾ (البقرة: ١٧١)

«.. فأضيف التشبيه إلى الراعي، والمعنى — والله أعلم — في المرعيّ»[٦٧].

أما أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ ت ٢٥٥هـ، فقد أوردَ كثيرًا من الأمثال في كتابه (الحيوان). ومع أنه لم يحاول تحديد مدلول المَثَل، فإن بعض ما عقب به على تلك الأمثال، يشير إلى أنه كان يفهم من المَثَل: التمثل والتشبه بواقع تجارب الحياة، ومحاكاتها، من ذلك قوله: «والمَثَل الذي يتمثل به الناس: فلان لا يستطيع أن يجيب خصومه، لأن فاه ملآن ماءً، وإنما جعلوا ذلك مثلاً، حين وجدوا الإنسان إذا كان في فمه ماء على الحقيقة، لم يستطع الكلام»[٦٨]. وهو يرى أيضًا، أن تلك التجارب والأشياء التي تلفت إليها الأنظار، وتدفع إلى أن يتشبهوا، أو يشبهوا بها، قد بلغت الغاية في بعض صفاتها، حتى صارت أصلاً فيها لكل ما يماثلها، فقال «... والسباحة المنعوتة إنما هي للأوزة، والبقرة، والكلب، فأما السمكة، فهي الأصل في السباحة، وهي المَثَل، وإليها جميع النسبة»[٦٩].

وقال ابن قتيبة الدينوري: «المَثَل بمعنى الشبه، يُقال هذا مِثْل الشيء ومَثَله، كما يُقال شِبه الشيء، وشَبه، قال تعالى:

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾ (العنكبوت: ٤١)

أي شَبَهُ الذين كفروا شبه العنكبوت. وقال:

---

(٦٦) معاني القرآن: ١٥/١.
(٦٧) المرجع نفسه: ٩٩/١.
(٦٨) الحيوان: ٢٦٧/٣.
(٦٩) المرجع نفسه: ١١٩/٥.

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ ﴾ (الجمعة: ٥)

أي شبههم بالحمار.

والمَثَل: العبرة، كقوله تعالى:

﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾ (الزخرف: ٥٦)

أي عبرة لِمَّنْ بعدهم وقوله:

﴿ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (الزخرف: ٥٩)

أي عبرة.

المَثَل: الصورة والصفة، كقوله:

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ ﴾ (محمد ١٥)

أي صفة الجنة[٧٠]. وأكَّدَ كَونَ المَثل بمعنى الصفة، قائلاً: (ومَثَلُه الأعلى): لا إله إلاّ الله. ومعنى المَثل ـــ ها هنا ـــ معنى الصفة: أي هذه صفته، وهي أعلى من كل صفة، إذ كانت لا تكون إلاّ له. ومثل هذا ـــ مما المَثَل فيه بمعنى الصفة ـــ قوله في صفة أصحاب رسوله:

﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ (الفتح: ٢٩)

أي : صفتهم)[٧١].

وهكذا أكد ابن قتيبة معنى الشبه، وعَدَّهُ أصلاً للمَثَل، كما أكد مجيء المَثَل بمعنى الصفة والعبرة.

وذهب الحكيم الترمذي ـــ محمد بن علي ت ٣١٨هـ ـــ إلى أن الأمثال: «نموذجات الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار، لتهتدي النفوس بما أدركت عيانًا»[٧٢] فهي بمثابة وسائل إيضاح، تُمَكِّنُ النفس مما خامرتها الحيرة فيه، من أمور خفية. فقال: «وما غاب عن أسماع الرؤوس وأبصاره، وجاءت أخبارها عن الله تعالى

(٧٠) تأويل مشكل القرآن: ٣٧٨.
(٧١) تفسير غريب القرآن: ٢٠.
(٧٢) الأمثال من الكتاب والسنة ـــ مخطوط ـــ المقدمة.

ـــ وتلك أشياء مكنونة ـــ أيْقَنَ القلب بذلك، وتحيرت النفس، وتذبذبت، .. فإذا ضربت لها الأمثال، صار ذلك الأمر لها بذلك المَثَل كالمعاينة، كالذي ينظر في المرآة، فيبصر بها وجهه، ويبصر بها من خَلْفَه»(٧٣) فالتفت الترمذي بهذا إلى أبرز خاصية من خصائص المَثَل، وأهمها. فالمَثَل وسيلة إدراك مالا يمكن إدراكه، من الأمور المكنونة إلاّ عن طريقه، وهي التفاتة لهاما لها من أهمية، إذ أبرز لنا قابلية الأمثال لاستيعاب التجارب المماثلة لتلك التي قيلت فيها، وذلك بتمثيله للمَثَل بالمرآة، وقد استوعبت صورة الناظر إليها، استيعابها لِمَنْ ماثله في الوقوف أمامها، أو شاركه ذلك.

وذهب قدامة بن جعفر ت ٣٧٧هـ إلى القول: (فأمّا الحكماء والأدباء فلا يزالون يضربون الأمثال، ويبينون للناس تصرف الأحوال، بالنظائر والأشباه والأشكال، ويرون هذا القول أنجح مطلبًا، وأقرب مذهبًا،... فلذلك جعلت القدماء أكثر آدابها وما دونته من علوم بالأمثال، والقصص عن الأمم، ونطقت ببعضه عن ألسن الوحش والطير)(٧٤) فهو يرى، أن الأمثال: الأشباه والنظائر. ولقد أشار إلى ما بين الأمثال والقصص المنتزعة من حياة الناس والحيوان من صلة.

وقال القاضي الجرجاني ـــ علي بن عبد العزيز ت ٣٩٢هـ ـــ في معرض رَدِّه على من خلط بين الاستعارة والتشبيه: «وربما جاء ـــ من هذا الباب ـــ ما يظنه الناس استعارة، وهو تشبيه أو مَثَل. فقد رأيت بعض أهل الأدب ذكر أنواعًا من الاستعارة، عَدَّ فيها قول أبي نواس:(٧٥)

والحب ظَهْرٌ أنتَ راكِبُـهُ فإذا صَرَفْتَ عِنانَه انْصَرَفا

ولست أرى هذا وما أشبهه استعارة، وإنما معنى البيت: إن الحب مِثْل ظهر، أو الحب كظهر تديره كيف شئت، إذا ملكت عِنانه. فهو إمّا ضربُ مَثَل، أو تشبيه شيء بشيء، وإنما الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة فجُعلت في مكان غيرها»(٧٦).

من هذا يتضح أن المَثَل عنده: التمثيل.

---

(٧٣) الأمثال من الكتاب والسنة ـــ مخطوط ـــ المقدمة.

(٧٤) نقد النثر: ٧٣ـــ٧٤.

(٧٥) ديوانه: ٤٣٢.

(٧٦) الوساطة: ٤١.

وذهب أبو هلال العسكري ــ الحسن بن عبد بن سهل ت ٣٩٥هـ ــ إلى أن «أصل المَثَل من التماثل بين الشيئين في الكلام، كقولهم (كما تدين تُدان) . وهو من قولك: هذا مِثْل الشيء ومَثَله، كما تقول: شِبهه وشبهه، ثم جُعِلَتْ كُلُّ حِكْمَة سائرة مَثلاً»(٧٧). وبهذا يكون قد أشار إلى انضواء الحكمة السائرة تحت لواء المَثَل. وفي (الصناعتين) عقد فصلاً خاصًا بالمماثلة، وربما أراد بالمماثلة: المَثَل والتمثيل. وهو المعنى الذي أراده بها أستاذه، أبو أحمد العسكري ــ الحسن بن عبدالله بن سعيد. ت ٣٨٢هـ ــ ونبه إليه الشيخ عبد القاهر الجرجاني ت ٤٧٠هـ بقوله: «وذكر أبو أحمد العسكري أنَّ هذا النحو من الكلام يسمى المماثلة، وهذه تسمية توهم أنه شيء غير المراد بالمَثَل والتمثيل، وليس الأمر كذلك»(٧٨) فإذا لم يكن أبو هلال قد أراد بالمماثلة هذا المعنى، فإن الفصل الذي عقده في الصناعتين يظل ظاهر الخلط بين التمثيل والكناية والتعريض، كما ذكر الدكتور بدوي طبانة(٧٩) ذلك لأنه ضمن هذا الفصل كثيرًا من الكنايات ــ كقولهم (فلان نقي الثوب) إلى جانب التمثيلات، كقول أبي تمّام:

أنت دلو، وذو السماح أبو مو ... سىٰ قليب، وأنت دلو القليب

أيها الدلو لا عَدِمْناك دلـوًا ... مِنْ جِياد الدِّلاء صلب الصليب(٨٠)

وهذا وكل ما أورده من آيات قرآنية إنما هي أمثال، جاءت على سبيل الكناية، كقوله: «وفي القرآن:

﴿ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ﴾ (النحل: ٩٢)

فَمَثَّل العَمَلَ ثمَّ إحباطه بالنقض بعد الفتْل»(٨١).

وتحدّث القاضي أبو بكر الباقّلاني محمد بن الطيب ت ٤٠٣هـ، وابن سنان الخفاجي محمد بن سعيد ت ٤٦٦ هـ بما لا يكاد يختلف عما تحدّث به

---

(٧٧) جمهرة الأمثال: المقدمة.

(٧٨) أسرار البلاغة: ٨٢.

(٧٩) أبوهلال العسكري ومقاييسه البلاغية: ١٩٨.

(٨٠) لا وجود للبيتين في ديوان أبي تمّام. والثاني منهما في ديوان علي بن الجهم مع خلاف في الرواية: ١١٧.

(٨١) الصناعتين: ٣٥٤.

العسكريان[٨٢]. وقال الحسن بن رشيق القيرواني ت ٤٥٦هـ (والمَثَل المضروب في الشعر نحو قول طرفة:[٨٣].

ستبدي لكَ الأيام ما كنتَ جاهلاً ويأتيك بالأخبار مَنْ لم تزودِ

راجع إلى ما ذكرته ــ (التمثيل) ــ لأنَّ معناه: ستبدي لكَ الأيام كما أبدت لغيرك[٨٤]. وتسمية المَثَل دالة على ما قلته، لأنَّ المِثْل والمَثَلْ الشبيه والنظير، وقد يكون المَثَل بمعنى الصفة».

وقال الشيخ عبد القاهر الجرجاني «وكل ما لا يصح أن يسمى تمثيلاً، فلفظ المَثَل لا يُستعمل فيه أيضًا»[٨٥] فالمَثَل عنده التمثيل بنوعيه، ما جاء بركنيه، وما جاء على سبيل الاستعارة، فقال: «وعلى الجملة فينبغي أن تعلم أن المَثَل الحقيقي، والتشبيه الذي هو الأولى بأن يُسمى تمثيلاً ــ لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح ــ ما تجده لا يحصل لك إلاّ من جملة من الكلام، أو جملتين أو أكثر..»[٨٦] ومثّل لهذا بقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ (يونس: ٢٤)

والركنان فيه أوضح من أنْ يُشار إليهما. وقال فيما جاء منه على سبيل الاستعارة «وأمَّا التمثيل الذي يكون مجازًا لمجيئك به على حدٌ الاستعارة: قولك لرجل يتردد في الشيء بين فعله وتركه: «أراك تقدم رجلاً وتؤخر الأخرى» فالأصل في هذا: أراك في ترددك، كمن يقدِّم الرِجل ويؤخر الأخرى، ثم أُختصر الكلام»[٨٧] وقال: «وكذلك قولهم: «ما زال يفتل منه في الذروة والغارب»، الشبه مأخوذ مما بين الفتل وما تعدى إليه، من الذروة والغارب، ولو أفردته لم تجد شبهًا بينه، وبين ما ضرب هذا الكلام مَثَلاً له».[٨٨].

وقال الميداني أبو الفضل أحمد بن محمد ت ٥١٨ هـ «المَثَل: قول سائر، يُشَبَّه

---

(٨٢) يُراجع قول الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن: ١١١ــ١١٢، وقول الخفاجي في كتابه سر الفصاحة: ٢٢١.

(٨٣) ديوانه: ٥٨.

(٨٤) العمدة: ٢٨٠/١.

(٨٥) أسرار البلاغة: ٧١.

(٨٦) المكان نفسه.

(٨٧) دلائل الاعجاز: ٤٧.

(٨٨) أسرار البلاغة: ٧٨.

به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه.. فحقيقة المَثَل: ما جُعِلَ كالعَلَم للتشبيه بحال الأول... فمواعيد عرقوب عَلم لكل ما لا يصح من المواعيد.. فالمَثَل ما يُمَثَّل به الشيء: أي يُشبَّه.. غير أن المِثْل لا يوضع موضع هذ المَثَل، وإن كانَ المَثَل يوضع موضعه كما تقدم للفرق، فصار المَثَل اسمًا مصرّحًا لهذا الذي كان يُضرب، ثم يُردُّ إلى أصله الذي كان له من الصفة، فيُقال: مَثَلُكَ ومثَلُ فلان: أي صفتك وصفته. ومنه قوله تعالى:

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ (محمد: ١٥)

أي صِفَتُها. ولشدة امتزاج معنى الصفة صَحَّ أنْ يُقال: جعلت زيدًا مَثَلاً، والقوم أمثالاً، ومنه قوله تعالى:

﴿ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ ﴾ (الأعراف: ١٧٧)

جعل القوم أنفسهم مَثَلاً ــ في أحد القولين ــ والله أعلم»[٨٩] وأشار الزمخشري إلى معنى المَثَل لغةً، واصطلاحًا، فقال: «المَثَل في لغة العرب بمعنى المِثل، كالشَبَه والشِبه، ثم سميت هذه الجملة المقتطعة من وصلها، أو المرسلة بذاتها، المتسمة بالقبول، المشتهرة بالتداول مَثَلاً، لأن المحاضر بها يجعل موردها مِثلاً، ونظيرًا لمضربها»[٩٠] ويبدو أن ما تحدث به عن معنى المَثَل في الاصطلاح، صدى لما تحدَّث به أحمد ابن محمد بن الحسن المرزوقي ت ٤٢١هـ قائلاً: «المَثَل جملة من القول، مقتضبة من أصلها، أو مرسلة بذاتها، تتسم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنقل عمن وردتْ فيه، إلى كل ما يصح قصده بها، من غير تغيير يلحقها..»[٩١].

ولقد صرح يوسف بن محمد السكاكي ت ٦٢٦هـ باقتصار الأمثال على الاستعارات التمثيلية ، فقال: «ثم إنَّ التشبيه التمثيلي، متى فشا استعماله على سبيل الاستعارة ولا غير، سمي مثلاً، ولورود المَثَل على سبيل الاستعارة لا يتغير»[٩٢]. وتابعه في هذا جلال الدين القزويني ت ٧٣٩هـ[٩٣] كما تابع الزمخشري فيما ذكره

---

(٨٩) مجمع الأمثال: المقدمة: ١/٥ـ٦.

(٩٠) المستقصي ــ المقدمة: ٣ـ٤ مخطوط.

(٩١) المزهر: ٤٨٦/١.

(٩٢) مفتاح العلوم: ١٨٧.

(٩٣) التلخيص: ٣٢٢ـ٣٢٤، الايضاح: ١٧٤.

عن الغرابة في الأمثال، واستعارة لفظ المَثَل للحال والقصة والصفة، إذا كان لها شأن وفيها غرابة(٩٤). وذهب أكثر أصحاب الحواشي، والمختصرات، والشروح، والإيضاحات التي تناولت (المفتاح)، أو (التخليص) أو (الإيضاح) إلى مثل ما ذهب إليه السكاكي، والقزويني. ويكفي أن نقف على ما ذكره بهاء الدين السبكي ت ٧٧٣هـ (٩٥) وسعد الدين التفتازاني ت ٧٩١هـ (٩٦) وابن يعقوب المغربي ت ١١٠هـ (٩٧) والشيخ محمد الدسوقي ت ١٢٣٠هـ(٩٨)، ومصطفى بن محمد البناني ت ١٢٣٨هـ (٩٩) وعبد المتعال الصعيدي(١٠٠).

ولم تقتصر متابعة البلاغيين للسكاكي فيما ذهب إليه في الأمثال على أصحاب الشروح، والمختصرات، والحواشي، وإنما تجاوزتهم إلى غيرهم، ومن هؤلاء: جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي ت ٩١٠هـ(١٠١) وأحمد الهاشمي(١٠٢).

ويكفي في شيوع هذا الذي ذكره السكاكي، أن ما أثبته محمد أعْلَى التهانوي ــ القرن الثاني عشر الهجري ــ في كشافه، لا يكاد يختلف عنه اختلافًا جوهريًا، وإن لم يقتصر عليه، حيث قال: «المَثَل ــ بفتح الميم والثاء المثلثة ــ في الأصل النظير، ثم نقل منه إلى القول السائر: أي الفاشي، الممثل مضربه بمورده، والمراد بالمورد الحالة الأصلية التي ورد فيها الكلام، وبالمضرب الحالة المشبهة بها التي أريدت بالكلام. وهو من المجاز المركب، بل لفشو استعمال المجاز المركب على سبيل الاستعارة سُمِّي بالمَثَل»(١٠٣). ومع ذلك، فقد وُجِدَ من بين الذين جاءوا بعد السكاكي، مَنْ لم يذهب إلى ما ذهب إليه، في حصر الأمثال بالاستعارات التمثيلية، من هؤلاء ــ على سبيل المثال ــ ضياء الدين بن الأثير ت ٦٣٧هـ حيث قال: «ومن أجل ذلك، قيل

---

(٩٤) الإيضاح: ١٧٥.
(٩٥) عروس الأفراح: ١٤٧/٤ــ١٤٨.
(٩٦) شرح السعد: ١٤٨/٤.
(٩٧) مواهب الفتاح: ١٤٨/٤ــ١٤٩.
(٩٨) حاشية الدسوقي: ١٤٨/٤ــ١٤٩.
(٩٩) التجريد: ٢٧٤/٢.
(١٠٠) بغية الايضاح: ١٤٦/٣.
(١٠١) عقود الجمان: ١٠٠.
(١٠٢) جواهر البلاغة: ٣٣٣.
(١٠٣) كشّاف اصطلاحات الفنون: ١٣٤٠/٢.

في حَدِّ المَثَل: إنَّهُ القول الوجيز المرسل، ليعمل عليه»[104]. كما آثر أَيُّوب بن موسى الحسيني، المعروف بأبي البقاء ت ١٠٩٥هـ ما كانَ قد ذكره أبو نصر الفارابي، في هذا الشأن ـــ وإن لم يشر إليه ـــ فقال: «والمَثَل بفتحتين ـــ لُغةً ـــ اسم لنوع من الكلام، وهو ما تراضاه العامة والخاصة، لتعريف الشيء بغير ما وضع له من اللفظ يُستعمل في السراء والضرّاء، وهو أَبْلَغُ مِنْ الحِكمة»[105].

ومهما يكن من شيء، فقد اتَّضح أنَّ المَثَل كان قد ارتبط بالتشبيه ارتباطًا وثيقًا، عند أوائل علماء العربية، كأبي عبيدة، والفرّاء، والجاحظ، وإنْ قيَّد الجاحظ ما يتمثل به الناس، بكونه تجربة واقعية، منتزعة من حياة الناس والحيوان، أو أنه أصل، أو بلغ الغاية، في الصفة المشتركة بينه وبين ما مثل به.

ولقد أشار الذين جاءوا بعدهم، إلى ما بين الأمثال والحكم من صلة وثقى، حتى أنَّ بعضهم كان قد نعت الأمثال، أو عرَّفها ، بأنها: «نموذجات الحكمة»[106] وأشار بعضهم إلى انضواء الحكم السائرة تحت لواء المَثَل، فقيل: «وسُمِّيَتْ كُلُّ حِكْمَةٍ سائرةٍ مَثَلاً»[107].

وإذا كان المَثَل قد فُسِّر بمطلق التشبيه، لدى أوائل علماء العربية، وبلاغييهم، فقد قصره غير قليل ممن جاءوا بعدهم على التمثيل، ومن ثَمَّ حُصِرَتْ الأمثال بالاستعارات التمثيلية. وهكذا تَقَلَّب المصطلح بين التشبيه، والتمثيل، والاستعارة التمثيلية، وليس بينهم مَنْ ذهب إلى غير الشبه، في الإشارة إلى الأصل الذي أُخذ عنه المَثَل.

(د) المَثَل لدى الباحثين المحدثين والمعاصرين:

لقد اهتم كثير من الباحثين المحدثين، والمعاصرين، بالأمثال وجمعها، وصنّفوا فيها المصنفات، وتعرض قسم من أصحابها، أو من قدّموا لتلك المصنفات للحديث عن المَثَل، غير أنهم ـــ على ما يظهر ـــ لم يكونوا يعنون بتحديد مدلوله، والكشف عن الأصل الذي أخذ عنه، عنايتهم بإبراز مالها من أهمية في مختلف نواحي الحياة، وإذا حاول بعضهم الإشارة إلى الأصل الذي اشتق منه، اكتفى بترديد ما قاله المتقدمون في هذا الشأن، حتى ذهب أحدهم ـــ محقًا أو غير محق ـــ إلى القول:

---

(١٠٤) المَثَل السائر: ١/٦٣.

(١٠٥) الكليات: ٣٤٣.

(١٠٦) الأمثال من الكتاب والسُنة ـــ مخطوط ـــ المقدمة.

(١٠٧) جمهرة الأمثال ـــ المقدمة.

«أمَّا تعريف الأمثال، وما لها من قيمة تاريخية، واجتماعية، وسياسية، فهذه أمور معروفة، لا نريد أن نطيل على القارىء الكريم بتعدادها وسردها»(١٠٨).

ومهما يكن من شيء، فما قيل عن جامعي الأمثال ــ من المحدثين والمعاصرين ــ يمكن أن يصدق على كثير ممن تصدوا للكتابة في تاريخ الأدب العربي، وتطوره، غير أن منهم مَنْ أشار إلى الرأي القائل: إن لفظة (مَثَل) العربية مأخوذة من لفظة (مَثَل) العبرية بعد أن أشار إلى ما أجمع عليه علماء العربية، من أن المَثَل مأخوذ من المماثلة والمشابهة(١٠٩) ومنهم من اكتفى بذكر دلالة كل من اللفظين في اللغتين (العربية والعبرية)(١١٠).

وهناك محاولات جادة في تحقيق اللفظ، والأصل الذي أُخذ عنه، وعلاقة مصطلح المَثَل به، بغض النظر عن مدى توفيقها فيما انتهت إليه. منها التحقيق الذي أجراه الدكتور عبد المجيد عابدين، وانتهى فيه إلى مايخالف الرأي الذي أجمع عليه علماء العربية، من أنَّ المَثَل مِن الشَبَه، وأنَّ معناه الاصطلاحي راجع إليه، فقال: «ورجحوا أنَّ أصل المثل القولي يرجع إلى معنى المجاز، أو التشبيه، وهذا هو الرأى الشائع بين كتّاب العرب»(١١١). وقال: «وقد انتهينا في الفصل الأول ــ وأشار إلى الصفحتين الثانية والثالثة منه ــ من هذا البحث، إلى أنَّ معنى النظير والمشابه، لم يكن المعنى الأصلي في المادة اللغوية»(١١٢) وأضاف: «وقد رأينا من قبل، أنَّ معنى الحكم والسيطرة، هي من أقدم معاني المادة اللغوية، ولم يَخْلُ شكل من أشكال المَثَل القديم، من ارتباطه بالسلطة الحاكمة، في نشأته الأولى، وفي تطوره، أو في الأمرين معًا»(١١٣).

وهكذا يتضح أنَّه لا يرى المشابهة معنى أصليًا للمادة اللغوية (م ث ل)، وأنّ الحكم والسيطرة من أقدم معانيها، في حين أنَّ كلَّ الذي جاء به في الصفحتين اللتين أشار إليهما لم يتضمن صلة ما ــ أيًا كانت هذه الصلة ــ بين مادتي (م ث ل)

---

(١٠٨) عبد الكريم جيهان: كتابه الأمثال العامية في قلب جزيرة العرب. المقدمة ١٣٠.
(١٠٩) أحمد أمين ــ فجر الإسلام: ٦.
(١١٠) محمد عبد المنعم خفاجي ــ الحياة الأدبية في العصر الجاهلي: ١٤٨.
(١١١) الأمثال في النثر العربي القديم: ١٦.
(١١٢) المرجع نفسه: ١٨.
(١١٣) المرجع نفسه: ١٩.

و (ح ك م) في العربية، واقتصر فيهما على ذكر ما بين المادتين من صلة، في اللغات السامية الأخرى، أو في بعضهما على الأصح، وأكثر من هذا أنه كان قد ذكر في إحدى الصفحتين اللتين أشار إليهما، ما أكد فيه عدم وجود صلة بين تلكما المادتين في العربية، حيث قال: «أمَّا العربية فلا تستعمل لمعنى الحكم ألفاظًا مشتقة من (م ث ل)، وربما اكتفت العربية بمادة (ح ك م) ومشتقاتها عن مادة (م ث ل) في الدلالة على الحكم والسيادة، في حين نجد لغات سامية أخرى استغنت بمادة (م ث ل)، عن مادة (ح ك م) في الدلالة على الحكم والسيادة»[١١٤].

فإذا كانت العربية لم تستعمل لمعنى الحكم والسيادة ألفاظًا مشتقة من مادة (م ث ل) وأكتفت للدلالة عليه بمادة (ح ك م)، فما الذي يبرر جَعْلَ مادة (ح ك م)، أو معنى الحكم والسيادة أصلاً ــ فيها ــ لمادة (م ث ل)، أو جَعْلَ هذه أصلاً لتلك؟ يضاف إلى ذلك أن ما تضمنته الصفحات الباقية من التحقيق، جاء دالاً على المماثلة والمشابهة، لا على الحكم والسيطرة، فقد جاء فيها قوله: «والتمثال في العربية وكذلك amsàl—messàlè—mesl في الحبشية كلها بمعنى (الشيء المُصَوَّر)، ثم نجد في المادة اللغوية معاني يبدو أنها متفرعة من معنى (الشيء المُصَوَّر)، من ذلك معنى القيام، والانتصاب، قال العرب: (مَثَلَ الشيء) إذا انتصب... ومن الشيء المُصَوَّر لمح الناطقون معنى المشابهة والمشاكلة، فَوَرَدَ اللفظ في الساميات (المَثَل metàl—mesl—màsàl بمعنى الشبيه والنظير، واشتقوا الفعل màsal في العبرية، maslu في الآشورية، mesala في الحبشية القديمة والأمهرية، mètal في الآرامية، mètal في السريانية، وكلها أفعال تدل على المشابهة والمشاكلة. واشتق العرب من المادة لفظًا يؤدي معنى القصاص: (العقاب بالمِثل)... وقد يكون منشأ هذه التسمية أنهم لمحوا في القصاص معنى المشابهة والمشاكلة، وذلك بأنْ يجعل شخص نظير آخر في القتل. ومن المثال أو العقاب بالمِثل ربما أخذوا معنى التنكيل، فقالوا: «مَثَّل يُمَثِّل مَثْلا ومُثْلَة أي نَكَّلَ به وانتقم منه. وأصبحت المُثْلة دالة بذاتها على الآفة، والعقوبة التي تقترن بالتشهير»[١١٥] وهكذا فإن كل ما جاء به عن التمثال، والمَثَل، والمِثال، والمُثْلة، إنما هو تأكيد لمعنى المشابهة والمشاكلة. ويبدو أن إطلاق لفظ التِمثال على الصورة، ما

---

(١١٤) المرجع نفسه: ٣.

(١١٥) الأمثال في النثر العربي القديم: ٤ــ٦.

صُنعت منها للعبادة أو لغير العبادة، لا ينهض دليلاً على أخذ (التِمثال) من مادة (ح ك م)، فضلاً عن أخذ مادة (م ث ل) برمتها من تلك المادة، لأن طبيعة الصورة، وماهيتها القائمة على الشَبه والمماثلة، بين الصورة وصاحبها شيء، والغرض الذي صورت من أجله شيء آخر.

ومهما يكن من شيء، فإذا صح ما ذهب إليه، من أن المعنى الأصلي لمادة (م ث ل) الحكم والسيادة في اللغات السامية — أو بعضها — فإنه لا يصح على العربية التي استعملت لكل من المعنيين مادة لغوية خاصة به، دون غيرها من اللغات السامية الأخرى، كما صرح بهذا المحقق نفسه.

ومن هنا يصبح جَعْلَ معنى الحكم أصلاً لمادة (م ث ل) في العربية، إغفالاً لما تميزتْ به عن أخواتها الساميات، ليس له ما يبرره غير إخضاع القلة للكثرة، وهو مبدأ ظاهر الشطط والتعسف في مثل هذا المجال.

هذا إذا ما افترض أنَّ ما ذهب إليه في تحقيقه، يمكن أنْ يصدق على أكثر الساميات، فكيف وما انتهى إليه موضع أخذ ورد بين الباحثين، حتى في غير العربية من اللغات السامية؟ وأنَّ أكثر أولئك الباحثين كانوا قد ذهبوا إلى أن المَثَل في الساميات كلها، من المماثلة، والمشابهة، فقال العالم الألماني زلهايم (R. Sellheim) إنَّ الأصل السامي العام لهذه الكلمة، في العربية: مَثَل، وفي العبرية: masal وفي الآرامية matla وفي الحبشية: mesl وفي الأكادية: meslum تتضمن حسب اشتقاقها معنى المماثلة، كما برهن على ذلك أوتو آيسفلد (O. Eissfeldt) في مقالة (المَثَل في العهد القديم) (Der—Maschal in Alten Testament)[١١٦] وقال فليشر: (Fleischer): إنَّ أصل معنى المَثَل الاشتقاقي: العرض في صورة حسية[١١٧]. وذهب آر ليفي (R. Levy) إلى أنَّ المَثَل: بيان، وتشبيه، ومقارنة، وموازنة، وأنَّ اصطلاح المَثَل، منسوب بصورة عامة إلى هذه المعاني[١١٨] وفي دائرة المعارف الدينية قيل: إنَّ كلمة التمثيل (Parable) مشتقة من اليونانية، وإنها تعني المقارنة، والموازنة، وقد استعملت للدلالة على معنى الكلمة العبرية مَشَل (maschel) التي استعملت في العهد القديم للتعبير المثلي، أو بعبارة أدق

---

(١١٦) 1. Die Klassich-Arabichen Sprichwortersammlungen 8 (ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب).

(١١٧) op. cit.

(١١٨) Encyclopaedia of Islam, Vol 3, 407

للتوسع في معنى المجاز [١١٩] وإلى مثل هذا أشارت دائرة بمعارف الدين والأخلاق[١٢٠] ودائرة معارف الدين والديانات[١٢١] ولهذا فلم يبعد الدكتور على أصغر حكمت عندما أشار إلى إجماع علماء فقه اللغة المحدثين، على أنَّ كلمة مَثَل موجودة في أكثر اللغات السامية، وأنها مأخوذة من كلمة: (مِثْل) بمعنى الشبيه والنظير[١٢٢].

ومن هذا كله يتضح، أنَّ جَعْلَ معنى الحكم والسيادة أصلاً للمَثَل في الساميات موضع نظر، فضلاً عن جَعْلِهِ أصلاً له في العربية، التي تميزتْ عنها بوجود مادتين لغويتين إحداهما للمماثلة والمشابهة، والأخرى للحكم والسيطرة والسيادة.

والواقع أن ما ذهب إليه الدكتور عبد المجيد عابدين، ليس له ما يؤيده في التحقيق الذي أجراه، غير ما جاء به من إطلاق العبرية للمَثَل على معاني الحكم والسيادة، إلى جانب إطلاقها للفظ على معاني المشابهة، والمماثلة، ويبدو أنَّ المحقق كان قد وقع تحت تأثير هذا الذي لوحظ في العبرية، وما نقله بنتزن (Bentzen) عن بوستروم (Bestrom) مع تأييده لهذا الذي نقله بنتزن من أنَّ أصل المَثَل راجع إلى الحكم (to rule). ثم صار الاسم دالاً على جمل تَفَوَّه بها الحكام، فجاءت مفعمة بالهيبة[١٢٣]. فقول الدكتور عبد المجيد: «ووصلت إلى أنَّ لفظ (مَثَل) هو بمثابة لقب خاص، يميز أقوالاً معينة، عمادها أصحاب السلطة الدينية والزمنية»[١٢٤] صدى لما ذهب إليه بوستروم.

ومهما يكن من شيء فليس من اليسير ربط المَثَل بالسلطة وأصحابها، مِثْلَ هذا الربط المحكم، وقصر الأمثال على ما صدر عن الحكام من أقوال، في الوقت الذي انتهى فيه الباحثون المحدثون ـــ ومنهم الدكتور عبد المجيد إلى أن «المَثَل الأصيل: ما صدر عن عامة الشعب، أو حظي بالألفة الشعبية»[١٢٥] وفي الوقت الذي وَرَدتْ

---

(١١٩) Encyclopaedia of Religion, 559-560

(١٢٠) Encyclopaedia of Religion and Ethics, Vol. 1, 628

(١٢١) Encyclopaedia of Religion and Religions, 209

(١٢٢) أمثال القرآن: ١١٨.

(١٢٣) Introduction to the Old Testament, Vol. 1, 168، وقد أشار الدكتور عبد المجيد إلى رأي بوستروم هذا في كتابه: ١٩.

(١٢٤) الأمثال في النثر العربي القديم ـــ المقدمة.

(١٢٥) المرجع نفسه: ٨٥.

فيه الأمثال الشعبية من أقدم أسفار العهد القديم، كما سيتضح عند مقارنة أمثال القرآن بأمثال العهدين (القديم والجديد) وأمثال الجاهلية، ولهذا فإن من الصعوبة بمكان عَدُّ مادة (ح ك م) أصلاً لمادة (م ث ل) ، أو جَعْلُ معنى الحكم والسيادة أصلاً للأمثال العربية، على أقل تقدير.

هذا وقد ذهب قسم من علماء العربية إلى أنَّ المَثَل: من المثول، فقال الميداني بعد أن أوردَ قول المبرّد وابن السكيت: «وقال غيرهما سميت الحِكَمُ القائم صِدْقُها في العُقول أمثالاً، لانتصاب صورها في العقول، مشتقة من المثول الذي هو الانتصاب»(١٢٦). وقال الخفاجي: «سمي مَثالا، لأنه ماثِل بخاطر الإنسان أبدًا أي شاخص»(١٢٧).

وأكبر الظن أنْ قد كان لمثل هذه الأقوال أثرها، فما ذهب إليه شهاب الدين الآلوسي إلى أنَّ «المَثَل ــ بفتحتين ــ كالمِثْل بكسر فسكون ــ والمَثَل في الأصل: الشبيه والنظير، والتفرقة لا ارتضيها، وكأنه مأخوذ من المثول، وهو الانتصاب، ومنه الحديث (من أحَبَّ أنْ (يَمْثُلَ) لَهُ الناسُ قيامًا، فليتبوأ مَقْعَدَهُ من النار) ثم أطلق على الكلام البليغ الشائع الحسن، المشتمل على تشبيه بلا شبيه، أو استعارة رائعة تمثيلية وغيرها، أو حكمة، وموعظة نافعة، أو كناية بديعة، أو نظم من جوامع الكلم الموجز...»(١٢٨).

وقال الأستاذ منير القاضي: «إنَّ صيغة مَثَل وما يشتق منها تنبىء عن معنى الحضور، والظهور، وقد تدلُّ على المشابهة والمشاكلة، تقول: مَثَل الرجل بين يدي فلان، أي حضر لديه منتصبًا، و (مَثَل القمر): أي ظهر، وماثل فلان فلانًا: أي شابهه، وماثل فلانًا بفلان: أي شابهه به، وفلان مِثل فلان: أي شبهه، وضرب له مثلاً: أي بين له حجة، ودليلاً، و (بسط له مَثَلاً): أي أوضح له حديثًا. ولا يخرج الدليل والحديث عن دائرة معنى الظهور، (تَمَثَّل الشيء) أي تَصَوَّر مِثالَه، والمِثال صفة مقدار الشيء، ولا يخرج تصور الشيء عن معنى حضوره في الخيال.

والمَثَل في مصطلح الأدب: هو القول السائر المُمَثَّل بمضربه أي المُشَبَّه حالة

---

(١٢٦) مجمع الأمثال ــ المقدمة.

(١٢٧) البرهان في علوم القرآن: ١/٤٨٧.

(١٢٨) روح المعاني: ١/١٦٣.

مضربه، بحالة مورده: أي الحالة التي كان قد وردَ فيها القول. فهو استعارة تمثيلية، مبنية على التشبيه المركب، وقد حصر علماء الأدب قديمًا وحديثًا الكلام في المَثَل بهذا المعنى»[١٢٩] وعمد الأستاذ أمين الخولي إلى تحقيق مادة (م ث ل)، وأخذ عنه الأستاذ نور الحق تنوير أكثر وأهَمَّ ما جاء في تحقيقه للمادة، أخذًا يكاد يكون حرفيًا، إنْ لم يكن كذلك، من غير أن يشير إليه.

فقال الأستاذ أمين الخولي: «قد يمكننا رجع معنى المادة حسيًا إلى البروز والشخوص، إذْ قالوا: مَثَل ومَثُل: أي قام منتصبًا، ورأيته ماثلاً بين يديه: أي قائمًا، وقالوا لمنارة المِسرجة: ماثِلة، وقالوا: امتَثَلوا غرضًا: أي نصبوه هدفًا، وقام مُمَثِّلاً: أي منتصبًا، وقالوا يَمْثُل الناس قيامًا: أي يقفون.. وكانوا ينصبون الجاني للقصاص، فسموا ذلك: مَثْلاً، والمِثال القصاص.. ومن الشخوص والبروز سموا المنحوت تمثالاً، وقد استعملوا المادة في ضد المعنى الأول من البروز والشخوص، وهو الانبطاح، والاختفاء، فقالوا: مَثَل: لطأ بالأرض، ومنه قالوا للفِراش: مِثال، كما قالوا: الماثِل من الرسوم: لغير المستبين.. وقد يكون تماثل المريض للشفاء، من ترك المِثال: وهو الفراش، كما يمكن أن يكون من المثول: أي القيام، والانتصاب، ولعله من الثاني أوضح. وهكذا تبين لنا انتهاء الاستعمال إلى معنى الشبه، فقيل: مِثْل، ومَثَل، ومثيل: كشِبه، وشَبَه، وشَبيه. ويلاحظ الراغب الأصفهاني ـــ في المفردات ـــ إن المِثْل أعم الألفاظ الموضوعية للمشابهة.. ولَعلَّ من تمام المعنى، ما يذكره صاحب اللسان في التفريق بين المماثلة والمساواة.. ومن معنى المشابهة جاء استعمال المَثَل السائر، للقول يشبه به حالة بحالة. كما جاء منها سائر معاني المَثَل من التشبيه التمثيلي، والاستعارة التمثيلية، أو من مطلق المشابهة في الاستعمال القرآني. ثم قد يُستعمل المَثَل بمعنى الصفة.. وقد يُفسَّر هنا بأنه الحديث نفسه. فقد قال صاحب اللسان: والمَثَل الحديث نفسه، وفي قوله عز وجل ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (النحل: ٦٠) جاء في التفسير أنه قول لا إله إلاّ الله...»[١٣٠].

ولا يمكن أن يكون من قبيل توارد الخواطر قول الأستاذ نور الحق تنوير: «إن

(١٢٩) مجلة المجمع العلمي العراقي ـــ المجلد السابع: ٣ــ٤.
(١٣٠) محاضرات في أمثال القرآن أملاها على الطلبة ـــ مخطوط.

مادة (مثل) ، وما يُشتق منها، تُستعمل في معانٍ[131] عديدة، يرجع معنى هذه المادة إلى البروز، والشخوص، إذ قالوا : مَثَل الشيء ـــ يَمْثُل ـــ مثالاً: أي قام منتصبًا، ومَثَل بين يديه: أي انتصب قائمًا ، ومنه قيل لمنارة المِسْرَجة: ماثلة ، وقالوا: امتثلوه غرضًا: أي نصبوه هدفًا، وقام مُمَثِّلاً: أي منتصبًا، قالوا: يَمْثُل الناس قيامًا: أي يقفون وينتصبون.. وكانوا ينصبون الجاني للقصاص فسموا هذا: مَثْلاً، والمِثال: القَصاص.. ومن الظهور، والبروز سمي القالب الذي يُقام ليُوضع عليه الشيء: مِثالاً.. ومن الشخوص سمّوا المنحوت: تمثالاً وقد استعملوا المادة في ضد المعنى الأول، الذي هو البروز، والشخوص، وهو الانبطاح، وغير االمستبين، فقالوا مَثَل: أي لطَأ بالأرض: أي قارب البرء، فصار أشبه بالصحيح من العليل المنهوك. وقد يكون من ترك المثال: وهو الفِراش. كما يمكن أن يكون من المثول: أي القيام، والانتصاب، ولعله من الثاني أوضح. ومنها أنهم يستعملونه في معنى الشبيه، والنظير، فقيل مِثْل، ومَثَل، ومثيل: أي شِبه، وشَبَه، وشبيه. ويلاحظ الراغب ـــ في المفردات ـــ أنّ المِثْل: هو أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة.. ولعل من تمام هذا المعنى، ماينقله صاحب اللسان من تفريق بين المماثلة، والمساواة.. والمَثَل: القول السائر بين الناس المُمَثَّل بمضربه: أي الحال الأصلية التي وَرَد فيها الكلام.. والمَثَل: الحديث نفسه، وقوله عز وجل: (ولله المَثَل الأعلى) جاء في التفسير: إنه قول لا إله إلاّ الله.. ثم قد يستعمل المَثَل بمعنى الصفة)[132].

وعلى أية حال فقد انتهى نور الحق إلى القول «ويتبيَّن من هذا التحقيق اللغوي بوضوح أن مادة (مثل) تنبىء عن معنى الشخوص، والحضور، كما أنها قد تدل على المشابهة، والمشاكلة، وتُستعمل في معنى الحديث، والحجة، والصفة أيضًا»[133]. ولا يخفى ما بين قوله هذا، وقول الأستاذ منير القاضي: «إن صيغة (مَثَل)، وما يشتق منها، تنبىء عن معنى الحضور والظهور، وقد تدل على المشابهة، والمشاكلة...»[134]. من شبه، وقد أغفل الإشارة في تحقيقه، إلى تحقيق الأستاذ منير القاضي، كما أغفل أن يشير إلى تحقيق الأستاذ أمين الخولي، مع أنَّه كان قد اطَّلع

(١٣١) هكذا وَرَدَتْ والصواب: معانٍ.
(١٣٢) الأمثال في القرآن الكريم وأثرها: ١ـــ٣.
(١٣٣) المرجع نفسه: ١.
(١٣٤) مجلة المجمع العلمي العراقي ـــ المجلد السابع: ٣.

على هذين المصدرين، وذكرهما مع ما ذكر من مراجع بحثه، ونَبَّهَ في مواضع أخرى إلى بعض ما أخذه عنهما من نصوص.

وعلى أية حال فإن إرجاع (المَثَل) ، أو مادة (م ث ل) بجملتها، إلى المثول، والبروز، والشخوص — كما يبدو لي — أثَر من آثار طغيان الغرض الذي ضُرِبَت الأمثال من أجله على طبيعة المَثَل وماهيته. فظني أن هؤلاء العلماء لم يكونوا ليذهبوا إلى مثل هذا لولا ما رسخ في الأذهان من إبراز الأمثال المعاني وتشخيصها، وإلاّ فكيف يرجع الآلوسي المَثَل إلى الانتصاب[١٣٥] وهو القائل: «والمَثَل — بفتحتين — كالمِثْل — بكسر فسكون — والمَثَل: النظير، والشبيه، والتفرقة لا أرتضيها»؟[١٣٦] وكيف يذهب الأستاذ أمين الخولي إلى إرجاعـه إلى البروز والشخوص، وهو القائل: «.. ومع أن اللغويين لا يتفقون على تفسير المَثَل بمعنى الصفة، إلاّ أنَّ أصل المادة لا ينفيه، بل لا يستبعده، لأنَّ التمثيل: هو تشبيه وتصوير، فقرب أنْ يكون وصفًا، وأن يكون المَثَل صفة»؟[١٣٧].

ومهما يكن من شيء، فإن تحقيق الأستاذ أمين الخولي أكثر تفصيلاً من غيره، والغريب أن تقسر فيه طائفة من ألفاظ المادة اللغوية على معنى الشخوص والبروز قسرًا، كالمِثال، التمثال، والمَثُل، أو المُثْلَة، فمما لا شك فيه أن المثال بمعنى (المقدار أو القالب، أو القَصاص، أو غير ذلك) من الشَبه، و ليس من البروز والشخوص، فالعرب لم تطلق لفظ المِثال على القصاص إلاّ لِما فيه من تماثل، بين المقتص له، نَصُبَ المقتص منه أو لم ينصب، وكذلك إطلاقهم للفظ على القالب، والمقدار، لما بين القالب وما حذي عليه من تماثل، وبين المقدار وما قدر عليه من مساواة. فقد جاء في اللسان من مادة مثل «المثال: المقدار، وهو من الشَبه... والمِثال القالب الذي يقدر على مثله.. يُقال مثلت بالتخفيف، والتثقيل: إذا صَوَّرت مثالاً.. وأمْثَلَهُ إمثالاً، وأقصه إقصاصًا بمعنى، والاسم المِثال والقصاص».

وفي التاج «.. يقول الرجل للحاكم أمثِلْني من فلان، وأقصني، وأقْدِني. بمعنى واحد، والاسم المِثال والقَصاص، والقَوَد وفي معجم متن اللغة «المِثال: صفة الشيء،

---

(١٣٥) روح المعاني: ١٦٣/١.

(١٣٦) المكان نفسه:

(١٣٧) محاضراته في أمثال القرآن — مخطوطة.

وصورته». وفي المعجم الوسيط «المِثال... صورة الشيء الذي يُمَثِّل صفاته». وفي المصباح المنير «المثال ــ بالكسر ــ اسم من ماثَله مُماثلة إذا شابهه. وقد استعمل الناس المِثال بمعنى الوصف، والصورة، فقالوا: مثاله كذا: أي وصفه، وصورته». وجاء في معجم مقاييس اللغة «والمِثال: الفراش، والجمع: مُثُل. وهو شيء يماثل ما تحته، أو فوقه». وارتبط المِثال فيه المِثْل ــ بالكسر والسكون ــ وسُوِّي به المِثْل، والمثال في معنى واحد) وهكذا جاء المِثال دالاً على المماثلة، والمشابهة، لا على البروز والشخوص.

والتِمْثال من المماثلة، والمحاكاة بينه وبين مَنْ يُمَثِّله، ويرمز إليه، ففي الصحاح (والتِمْثال: الصورة) وفي اللسان «والتِمثال: الصورة.. وظل كل شيء: تمثاله.. والتِمثال: اسم للشيء المصنوع مشبهًا بخلق مِنْ خلق الله، وجمعه: التَماثيل، وأصله من مَثَّلت الشيء بالشيء إذا قدرته على قدره، ويكون تمثيل الشيء بالشيء تشبيهًا به، واسم ذلك المُمَثَّل : تِمثال، وأما التَمثال ــ بفتح التاء ــ فهو مصدر مَثَّلْتُ تَمْثيلاً، وتَمْثالاً» وفي المُعجم الوسيط «التِمثال: ما نحت من حجر، أو صُنِعَ من نحاس، أو نحوه يحاكى به خلق من الطبيعة». ومثل هذا يمكن أن يُقال في المُثْل، والمُثلة. قال ابن فارس «وقولهم مَثَّل به: إذا نَكَّل: هو من هذا أيضًا ــ (الشبه) ــ لأنَّ المعنى فيه أنه إذا نَكَّل به، جعل ذلك مِثالاً لكل من صنع ذلك الصنيع، أو أراد صُنْعَه.. والمَثُلات من هذا أيضًا قال تعالى:

﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ﴾ (الرعد: ٦)

أي العقوبات التي تزجر عن مِثْل ما وقعت لأجله، وواحدها : مَثُلة، كَثَمُرة، وصَدُقة، ويحتمل أنها: التي تنزل بالإنسان فتجعله مثالاً ينزجر به، ويرتدع غيره»(١٣٨). وقال أبو عبيدة : «(خَلَتْ من قَبْلِهم المَثُلات) واحدتها مُثْلة، ومجازها مجاز الأمثال» وفي إحدى نسخ الكتاب «وهي الأشباه، والأمثال، والنظائر»(١٣٩). ومثل هذا في معجم غريب القرآن «المثلات: واحدها مُثْلَة: وهي الأشباه، والأمثال»(١٤٠).

ويبدو لي أن التمثيل: بمعنى التنكيل لا يكاد يختلف عن التمثيل: بمعنى التشبيه

(١٣٨) مقاييس اللغة: (م ث ل).
(١٣٩) مجاز القرآن: ٣٢٣/١.
(١٤٠) مادة (م ث ل) منه.

والتصوير، ذلك لأنَّ التمثيل: تشويه للخلقة، فكأن الممثِّل ترك الممثَّل به على صورة غير صورته التي كان عليها قبلاً. ومهما يكن من شيء فالمَثْل، والتمثيل، والمُثُلات، لم تخرج عن الشبه. وإذا تجاوزنا هذه الألفاظ من المادة اللغوية (م ث ل)، فلا نكاد نجد شيئًا مما جاء به الأستاذ أمين الخولي ـــ لإرجاع المادة إلى الشخوص والبروز ـــ غير (مَثَل ـــ يمْثُل ـــ مثولاً ـــ فهو ماثِل) وهذه الألفاظ ـــ بمعنى الانتصاب ـــ من الأضداد، فقد جاءت دالة على الانتصاب والانبطاح، وعلى الحضور والظهور، والغياب والزوال والاختفاء، فلا يحتج بها في إرجاع مادة (م ث ل) بكل ما تضمنته إلى البروز والشخوص والظهور. فقد جاءت دالة على البروز في قول زهير بن أبي سلمى:

أَمِنْ آلِ ليلى عرفت الطلولا بذي حرض ماثلات مثولا(١٤١)

وقولهم لمنارة المسرجة ماثلة.(١٤٢)

ومما جاء دالاً فيه على الخفاء قول زهير بن أبي سُلمى نفسه:

تَحَمَّلَ عنها أَهْلُها وخَلَتْ لها رسومٌ فَمِنها مُسْتَبينٌ وماثِل(١٤٣)

وقول أبي خراش الهذلي:

يُقَرِّبُهُ النَهْضُ النَجيحُ لِما يَسري فَمِنْهُ بُدُوٌّ تارةً ومُثُول(١٤٤)

وإطلاقهم المثال على الفراش للصوقه بالأرض(١٤٥).

وكما جاء المثول دالاً على الحضور، جاء دالاً على الغياب والزوال، فذكر في اللسان أن أبا عمرو بن العلاء قال: «كان فلان عندنا ثم مَثَل»: أي ذهب .

والمثول بعد هذا كله قد فُسِّر بالشبه، حتى حين وَرَدَ بمعنى الانتصاب، ففي مقاييس اللغة «وَمَثَل الرجل قائمًا: إذا انتصب، المعنى ذاك. (الشبه) لأنَّه: كأنَّهُ مِثالٌ نُصِب) فالمثول ـــ على ما يبدو ـــ ليس مطلق الوقوف، ولكنه الوقوف المتسم بالثبات، ومجانبة الحركة إظهارًا للاحترام، والإجلال، والهيبة والوقار، فهو وقوف الأدنى بين يدي الأعلى، وتفسيره بالثبات أولى من تفسيره بالبروز، وإلاَّ لما كان

---

(١٤١) ديوانه: ١٩٣.
(١٤٢) الصحاح: واللسان، والتاج: (م ث ل).
(١٤٣) ديوانه: ٢٩٣.
(١٤٤) ديوان الهذليين: ١٢٣/٢.
(١٤٥) الصحاح، واللسان، والتاج: (م ث ل).

الانتصاب ليختلف عن الوقوف في شيء.

من كل ما تقدم يتضح أنَّ من العسير إرجاع مادة (م ث ل) إلى البروز، والشخوص، والظهور، في حين ليس في مفردات المادة اللغوية ما يصعب إرجاعه إلى المشابهة، والمماثلة، فوَرَدَ منها الفعل الثلاثي المجرد مبنيًا للمعلوم، والمجهول، (مُثِلَ) بمعنى التسوية والتشبيه ففي أساس البلاغة (ومُثِلَ الشيء بالشيء، سُوِّي به، وقدِّر تقديره) وفي اللسان «يُقال: مَثُلْتُ بالتثقيل والتخفيف: إذا صَوَّرْت مِثالاً» ووَرَدَ لضعف (مَثَّل): بمعنى صَوَّر وشَبَّه، ففي اللسان: «مَثَّل لَهُ الشيء: صوَّره حتى كأنه ينظر إليه.. ومَثَّل الشيء بالشيء: سَوّاه وشَبَّهه به، وجَعَلَه مِثْلَه، وعلى مِثالِه». وأخذ عنه اسم الفاعل، واسم المفعول، والمصدر، فقالوا: «مَثَّلْتُ له كذا تَمثيلاً : إذا صَوَّرت له مثاله بكتابة، أو غيرها، وفي الحديث «أشد الناس عذابًا يوم القيامة، مُمَثِّل من المُمَثِّلين»: أي مصوِّر ومنه الحديث: «لا تُمَثِّلوا بنامية الله»: أي لا تُشَبِّهوا بِخَلْقِهِ، وتُصَوِّروا مِثْلَ تَصْويرِهِ»(١٤٦). وأُدْخِلَتْ ألف المشاركة على الثلاثي المجرد، فجاء واضح الدلالة على المماثلة، والمشابهة ففي المصباح «المِثال بالكسر: اسم من ماثله مماثلة إذا شابهه، وقد استعمل الناس المِثال بمعنى الوصف والصورة».

وجاء المزيد بالألف والتاء بنفس الدلالة، ففي اللسان «تَماثَل العَلِيلُ: قاربَ البُرء، فصار أشبه بالصحيح من العليل المنهوك..» ولو تتبعنا مفردات المادة، لما تعذر إرجاع لفظ منها إلى الشبه، ولهذا فالمَثَل من الشبه وإليه.

(هـ) ما انتهيت إليه:

من هذا العرض الشامل لما ذهب إليه اللغويون، والمفسِّرون، والبلاغيون، والمعنيون، بالأمثال من القدماء أو المحدثين، في مادة (م ث ل) ـــ عامة. ولمَثَل منها خاصة ـــ يتضح: أن إرجاع المادة إلى غير الشبه بعيد، وأن مادة (م ث ل) من الشبه، وأن المَثَل من هذه الأسرة اللغوية الموضوعة للمشابهة والمماثلة، فهو من المثال، ويؤدي ما يؤديه المِثال من معنى الشيء الممثل به، أو المحذو عليه، وتَمَثُّلِهِ، وتَمْثِيلِهِ، اللازمين له، وذلك للأمور الآتية:

(١) هذه المعاني من مادة (م ث ل)، وليست من مادة لغوية أخرى، بعيدة عنها أو قريبة منها، فالقول بهذه المعاني أولى من القول بغيرها، مما يضطرنا لالتماس

(١٤٦) اللسان: (م ث ل).

جذر المادة في مادة لغوية أخرى، كما فعل ذلك القائلون برجوع مادة (م ث ل) إلى الحكم والسيطرة.

(٢) إجماع علماء العربية على تفسير المَثَل بالشبه، وهذه المعاني لا تخرج عن الشبه الذي فُسِّر المَثَل به، فَمِنَ الأولى تفسيره بها إذ لإجماع ذوي الاختصاص ما له من قيمة.

(٣) هذه المعاني من أبرز ما تضمنته مادة (م ث ل): ويمكن أن تلحظ في أكثر مفردات المادة، بخلاف البروز والشخوص، الذي كاد يقتصر فيها على (مَثَل يَمْثُل مُثولاً.. فهو ماثِل) واقتصر عليها حين يؤتى بها للدلالة عليه فقط، وإلاّ فلهذه المفردات ذاتها دلالات أخرى لا أثر للبروز والشخوص فيها.

(٤) هذه المعاني أخَصُّ من الشَبَه، الذي أجمع علماء العربية على تفسير المَثَل به، ووضع اليد على الخاص ــ إذا ماتيسر ــ خير من الإشارة إلى العام المطلق.

(٥) ليس في المادة اللغوية (م ث ل) ما يضاد معاني هذه المفردات، خلافًا لِمَنْ أرجع المادة إلى الشخوص والبروز، واللفظ الدال على البروز من كل مفردات المادة جاء دالاً عليه، وعلى نقيضه. وأما ما ذهب إليه بعض المفسِّرين ــ في تفسير المَثَل ــ في قوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (النحل: ٦٠)

بانعدام المثيل[١٤٧] فلا اعتراض عليه، تنزه الخالق سبحانه عن المثيل، والشبيه (ليس كمثله شيء).

ولكن الذي يمكن أن يُلاحظ، أن (انعدام المثيل) لم يكن المعنى الوضعي، أو الاصطلاحي للفظ المَثَل، ويبدو لي ــ والله أعلم ــ أن المَثَل فيها: المثال كما في غيرها من آيات القرآن الكريم وإن لفظ الأعلى الذي أفاد هذا التفرد، فالمَثَل الأعلى: مجموع الصفات التي وَصَفَ الله بها نفسه في قرآنه. فمن هذه الصفات ــ من غير ما تجسيم أو تشخيص ــ يعرف العبد خالقه. وألفاظ الصفات من قبيل اللفظ المشترك فلا يتهيأ للمؤمن على الإطلاق أنَّ كرمه يمكن أنْ يماثل كرم الله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. وهذا التوجيه أولى من تفسير

(١٤٧) انظر مثلاً: جامع البيان: ١٤/٨٤ــ٨٥، التفسير الكبير: ٦/٧١٢، روح المعاني: ١٤/١٧٠.

المَثَل الأعلى بالصفة العليا ــ كما ذهب المفسِّرون ــ لأن المثال مذكر يلائم لفظ الأعلى بعده، ويشمل جميع صفات الله العليا، ولا يقتصر على واحدة منها، كما هو المعنى المتبادر من قول المفسِّرين: «ولله الصفة العليا»(١٤٨). وبعد هذا، فهو لا يختلف عمّا ذهبوا إليه من تفرد الله سبحانه، ما دامت صفاته تباين صفات المخلوقين كمًّا، وكَيْفًا. وإذا كان لابد من سند فَمِنَ الممكن توجيه ما ذكره شيخ المفسِّرين ــ ابن جرير الطبري ــ إلى مثل هذا الذي ذهبت إليه، أو إلى ماهو قريب منه، حيث قال «وهو الأفضل، والأطيب، والأحسن، والأجمل، وذلك التوحيد، والإذعان له، بأنه لا إله غيره»(١٤٩). فذكر عددًا من الصفات، ولم يقتصر على صفة واحدة، وكلها جاءت بصيغة التفضيل، وإن كان قد ألحق بها تفرد الخالق بالوحدانية، والربوبية. وأكثر من قول الطبري تأييدًا لهذا الذي ذهبت إليه، ما ذكره الأستاذ أمين الخولي بهذا الشأن، حيث قال: «وقد رأينا أن تفسير المَثَل الأعلى بالصفة مما لا يتفق عليه اللغويين، وإن كان ظهر لي أنَّ أصل المادة لا ينفيه، ولا يبعده، لأنَّ التمثيل تصوير، وتشبيه، فقرب أن يكون وصفًا، وأن يكون المَثَل صفة. وأما تفسير المَثَل بالحديث نفسه، فقد يكون نوعًا من التساهل، والتوسع في الأداء ــ فليس يفهم بسهولة أنَّ المَثَل: هو كلمة لا إله إلاّ الله ــ وإن سُلِّمَ أنَّ هذه العبارة تجمع الصفات الإلهية، والطبري لم يُفسِّر آية النحل إلاّ بما تُعُورِف فيه من القول التشبيهي، فقال (ولله المَثَل الأعلى) (... وهو الأفضل، والأطيب، والأحسن، والأجمل، وذلك التوحيد، والإذعان، بأنه لا إله غيره...» وإلى نحو هذا المعنى يشير الفخر في تفسير آية الروم.. فإذا قدرنا عدم اتفاق اللغويين على تفسير المَثَل بالصفة، استطعنا أن نرى في ذلك شيئًا من الترجيح لتفسير الطبري، والرازي للمَثَل الأعلى بالمَثَل المضروب، وملاحظة معنى المشابهة، والمحاكاة والاحتذاء. وبهذا يمكننا أن نفسِّر المَثَل الأعلى في الاستعمال القرآني بما يُقارب الاستعمال النفسي العصري لهذه الكلمة، حين يُراد بها مثال يحتذى، وهو أبْعَدُ المُثُلِ وآخرها في نظر متصوره. ويكون لله المَثَل الأعلى: الأكمل، والأتم، الذي لا يَرتقي

---

(١٤٨) الأماكن السابقة نفسها، وانظر المَثَل في كتب التفسير من هذا البحث.

(١٤٩) جامع البيان: ١٤/٨٤ــ٨٥.

لمشابهته، ومماثلته، قوى الناس، ونفوسهم. على أن تفسيره بالصفة لا يبعده من هذا الاستعمال العصري، لولا تدافع آراء اللغويين في تفسيره، وإن كنت ــ على ما أسلفت ــ لا أرى في معاني المادة، وما تدور عليه مانعًا من ذلك)[١٥٠].

وهكذا وُفق الأستاذ أمين الخولي خير توفيق في توجيه (المَثَل الأعلى)، وانتهى إلى ما يمكن أن يكون القول الفصل فيه. وإلى مثل هذا أو ما هو قريب منه ذهب الأستاذ العقاد فقال: «وفحوى برهان (المَثَل الأعلى) أن العقل إذا تصور شيئًا عظيمًا تصوَّر أعظم منه، وإلاّ تطلب موجبًا للوقوف عند حد من العظمة لا تتعداه. وكلما عظم شيء فهناك ماهو أعظم منه، وأعظم، حتى تنتهي إلى العظمة التي لا مزيد عليها. والعظمة التي لا مزيد عليها، لا تكون مجرد تصور يقع في الوهم، ولا يوجد في الواقع، لأن العظمة الموجودة فوق العظمة الموهومة أو المتصورة، فالله إذن موجود، لأنَّه أعظم الموجودات»[١٥١].

(٦) وجود الأصل المادي أو إمكان افتراض وجوده، في المطابقة المادية بين المِثال المنقور على قدر طرف العمود، وهذا الطرف من العمود الداخل في المِثال. وعمود البيت والحجر الموضوع تحته ــ كيما يثبته ــ من الأمور المتصلة بالحياة العربية البدوية القديمة، في حين أن إرجاع المَثَل ومادة (م ث ل) إلى الحكم والسيادة، أو البروز والشخوص لا يضع أيدينا على مثل هذا الأصلِ المادِّي.

(٧) تنبيه قسم من علماء العربية المعروفين بطول الباع فيها كالمبرد وأبي علي الفارسي إلى أن المَثَل من المِثال والتمثيل، في حين ليس بينهم مَنْ ذهب إلى إرجاع المَثَل إلى الحكم والسيادة، ومادة (م ث ل) إلى مادة (ح ك م).

(٨) وضوح العلاقة بين المعنى اللغوي، وأعني الاصطلاحي، في تفسير المَثَل بالمِثال، والتمثيل أو الحذو عليه أكثر من وضوحها في إرجاع المَثَل، ومادته إلى البروز والشخوص، أو إلى الحكم والسيادة، فالاصطلاح مأخوذ من حذو المضرب أو تمثيله، بالمورد، الذي اتخذ مثالاً له.

(٩) تفسير المَثَل بالمِثال يجعل مصطلح المَثَل أشمل مما هو عليه، إذ المِثال نَمَطٌ،

---

(١٥٠) محاضراته المخطوطة.

(١٥١) الفلسفة القرآنية: ٩٩.

يمكن أن يُطلق على أساليب متباينة من التعبير، كما هو الملاحظ في الأمثال، ولا يقتصر على القول الممثل مضربه بمورده، وقريب من هذا ما أشار إليه الدكتور عبد المجيد عابدين، وبوستروم قبله، من أنْ المَثَل: لقب خاص يميز أقوالاً معينة، وقد أشار البلاغيون إلى أنّ المَثَل يُطلق على الصفات، والأحوال والقصص: أي يُطلق على أشكال متباينة، الجامع بينها ما فيها من غرابة. ولهذا، فالقول بالمِثال لا يضطرنا إلى القول بأنَّ إطلاقه على هذه الأشكال إطلاق استعاري.

(١٠) إمكان وضع لفظ المِثال في المواضع التي يرد فيها المَثَل، وإن لم يكن ضروريًا تفسير الألفاظ بما يمكن أن يُوضع في مواضعها، وقد وَرَد المَثَل في أشكال وصيغ مختلفة في القرآن الكريم، وما من موضع إلاّ ويمكن التعويض عن لفظ المَثَل بلفظ المِثال، ويكفي ما دار من خلاف في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (النحل: ٦٠)

وكيف أمكن وضع لفظ المثال حتى في هذا الموضع.

(١١) لم يقتصر الأمر على إمكان وضع المثال موضع المَثَل، وإنما تجاوزه إلى أن أصبح المِثال: اللفظ الذي تسبق إليه السليقة، والبديهة، في تفسير المَثَل. ولقد تتبعت أقوال قسم من العلماء الذين تعرضوا لتفسير اللفظ، وإذا بالمِثال ينزلق على ألْسِنَتهم قصدوا إلى ذلك، أو لم يقصدوا إليه. كقول ابن سنان الخفاجي في حديثه عن المَثَل: «فيوضح بألفاظ تدل على معنى آخر، وذلك المعنى: مثال للمعنى المقصود.. لأن المِثال لابد من أن يكون أظهر من المثل»[١٥٢]. وقول الزمخشري «ألا ترى إلى الحكماء وكيف أوصوا في سياسة الولد ـــ إذا وُجِدَتْ منه هَنة منكرة ـــ بأن يُعَرَّض له بإنكارها عليه ولا يصرح، وأن تحكى له حكاية ملاحظة لحاله فإذا تأملها استسمح حال صاحب الحكاية، فاستسمح حال نفسه، وذلك أزجر له، لأنه ينصب ذلك مثالاً لحاله، ومقياسًا لشأنه، فيتصور قبح ما وُجِدَ منه بصورة مكشوفة، مع أنه أصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة»[١٥٣].

---

(١٥٢) سر الفصاحة: ٢٧٣.

(١٥٣) الكشّاف: ٣/٨.

وقال أبو الوليد، محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ت ٥٩٥هـ في حديثه عن الأمثال: «وبعضها إنما نطق بها فقط لموافقة الحال الحاضرة، فحفظ ذلك وجعل مثالاً في أشباه كثيرة، مثل قول القائل: (ذَكَّرْتني الطَعْنَ وكُنْتُ ناسيًا) فإن الحكاية في ذلك مشهورة، عن أول مَنْ تكلم بهذا المَثَل، والسبب في ذلك»(١٥٤). ونقل عن أرسطو أنه لم يكن يرى من فارق بين المَثَل والمِثال، غير أن المَثَل ــ على ما يرى ــ أخَصُّ بالمقدمة المخترعة، والمِثال أخَصُّ بالموجود منها(١٥٥).

وجاء في الانتصاف على الكشّاف «لما كانت امرأة أوروبا الممثلة بالنعجة فهي مشهورة بالحسن، وصف مثالها في قصة الخصمين بالحسن، زيادة في التطبيق لتأكيد التنبيه على أنه هو المراد بالتمثيل».(١٥٦) وقد أكثر الفخر الرازي من التعويض عن المَثَل بالمِثال، من ذلك قوله: «اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال الأشقياء، وأحوال السعداء، ذكر مثالاً يبين الحال في حكم هذين القسمين، وهو هذا المَثَل»(١٥٧). وفي مقدمة كتاب المباني «فإن الله تعالى جعل هذا العالم، الذي هو بهذه الصفة مثل الكلب»(١٥٨). وفي تفسير المنار «أي شَبَّه عيسى وصفته ــ في خلق الله إيّاه على غير مثالٍ سبق ــ كشأن آدم في ذلك»(١٥٩).

وقال الأستاذ أمين الخولي: «وبهذا يمكننا أن نفسِّر المَثَل الأعلى في الاستعمال القرآني بما يقارب الاستعمال النفسي العصري لهذه الكلمة، حين يُراد بها مثال يحتذى، هو أبعد المُثُل، وآخرها في نظر متصوره»(١٦٠). وقال الدكتور أحمد بدوي: «وقد تأتي الكاف وسيلة إيضاح، وتقوم هي وما بعدها مقام المثال للقاعدة، وغير خافٍ ما للمَثَل يضرب من التأثير»(١٦١) وقال

---

(١٥٤) تلخيص الخطابة ــ لابن رشد: ٣٥٠ــ٣٥١.
(١٥٥) المرجع نفسه : ٣٥٠.
(١٥٦) انظر حاشية الكشّاف: ٣/١٠.
(١٥٧) التفسير الكبير: ٣٤٦/٥ ــ وأنظر ٣٤٩/٥، ٣٥٠، ٤١٣/٦.
(١٥٨) مقدمتان في علوم القرآن: ١٧٥.
(١٥٩) تفسير المنار ٢: ٣١٩.
(١٦٠) محاضراته ــ مخطوطة.
(١٦١) من بلاغة القرآن: ٢١٢.

الدكتور بدوي طبانة «وهذا المَثَل، أو المِثال قريب من ذلك النوع المسمى في البلاغة العربية: (التشبيه التمثيلي) أو (التمثيل) هذا إذا ذكر المشبه في العبارة، فإذا لم يُذكر في العبارة كان من الاستعارة التمثيلية»[١٦٢].

(١٢) إطلاق بعض العلماء لفظ (النموذج) على المَثَل، كقول الحكيم الترمذي ت ٣١٨هـ: «الأمثال نموذجات الحِكمة، لما غاب عن الأسماع والأبصار، لتهتدي النفوس بما أدركت عيانًا»[١٦٣]. وكلمة (نموذج) معربة عن الكلمة الفارسية (نمونة) المستخدمة فيها بمعنى (المِثال) العربية[١٦٤]. وهذا كله يؤيد أن المَثَل: المِثال والأمثال النماذج.

(١٦٢) النقد الأدبي عند اليونان: ٢١٢.

(١٦٣) الأمثال من الكتاب والسُنة ــ مخطوط ــ المقدمة.

(١٦٤) أمثال القرآن لعلي أصغر حكمت: ١١٩.